زينب والظالمون

محسن المعلم

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

محسن المعلّم

زينب والظالمون

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

يُطلب من :

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون: ٨٣٤٢٦٥ - ٨٢٠٣٢٠ - فاكس: ٦٠٣٣٧٩ - ٨٢١٢٠٣

ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ السادةِ المنتجبين ، واللعنُ الدائمُ على أعدائِهم وغاصبيهم حقوقَهم إلى يومِ الدين .

مع بطلة المواقف :

" هذه السيدةُ سنخُ أُمِّها ومِنْ تلكمُ الفصيلة ، نِتَاجُ العصمة ، عقيلةُ الطالبيين ، ومَنْ حَفِظَتْ مركزَ أُمِّها ، وشَغِلَتْ مقامَها في (أسرةِ الإسلام) وفي حياتِها الشموخ ، وسموُّ النفس ، وشريفُ الأهداف ، وأنبلُ الغايات . وسبحانَ مَنْ يَضَعُ الأشياءَ في مواضعِها ويُقَدِّرُ لها أسبابَها ، فقَدَّرَ لهذهِ السيدةِ الحوراءِ ما قَدَّرَ للسيدةِ أُمِّها الزهراء ، فأَناطَ بهما الدفاعَ عن الإمامةِ والإمام ، فقامَتا وقاوَمَتا ، وحقَّقَتا ما عَجزَ عن بعضِهِ أبطالُ الرجال ، وسبحانَ الحكيمِ المدبرِ الذي خلقَ هذه الطينةَ مِنْ تلكمُ الطينة ، وقَدَّرَ لها أقدارَها " [1]

وهذا حديثٌ حولَ خطبَتَيها : في الكوفةِ والشام ، وجملةٌ مِنْ شؤونِ حياتِها ، تَوَفَّرْتُ على كتابتِهِ في فترةٍ قصيرةٍ لِيُلْقَى دروساً في (مجلس الزهراء) على بناتِ فاطمةَ والحوراء ، والفضلُ بعدَ اللهِ تعالى يعودُ أولاً لِمَنْ يَتَشَرَّفُ المجلسُ بالانتماءِ إليهِ والإضافة ، ثُمَّ للقائمينَ والقائماتِ على برامجِهِ ونشاطاتِه ، جزاهمُ اللهُ جميعاً خيرَ الجزاء .

وأقول ثانياً ، وإني لَمُعْتَرِفٌ بالقصورِ عن بلوغِ تلكم المقاماتِ وارتقاءِ تلكم القِمَم ، ولكني سأفعلُ الممكنَ بالتطلعِ إلى آثارِ هذا الوجودِ العظيمِ والكيانِ

---

[1] – التشيع لماذا ؟ (للمؤلف) .

الأكبر ، وحسبي أنّهُ بطاقةُ ولاءٍ وانتماء ، راجياً أنْ تَشْمَلَنا جميعاً ألطافُ الله تعالى ببركاتِ روحِ الحوراءِ الطيبةِ وأنفاسِها الشريفة ، والحمدُ للهِ والصلاةُ والسلامُ على أوليائِنا محمدٍ وآلِهِ الكرام .

محسن بن علي المعلم

القطيف – الجارودية

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الزهراء عليها السلام

الدرس الأول ٢/١١/١٤١٧هـ

شرح خطبتي السيدة زينب

عناصر الدرس :

تقَرُّب – افتتـــاح .

أولاً : غَرْسُ النبوةِ والإمامة ، وثمرةُ الشجرةِ الطيبة .

ثانياً : اسمٌ من السماء . ثالثاً : مواهِبُ إلهية .

رابعاً : العلمُ المُفاض . خامساً : خُزانَةُ الأسرار .

سادساً : الأُذُنُ الواعية . سابعاً : النيابةُ عنِ الإمامِ المعصوم .

ثامناً : قرينةُ الأحزان وحليفةُ الأشجان .

فقدُ النبيِّ والرؤيا المزعجة – شهادةُ أُمِّها الزهراء .

الفجيعةُ الثالثة بأبيها أمير المؤمنين .

الرزيةُ الرابعة فقدُها شقيقَها الإمامَ الحسنَ المجتبى .

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، وأفضلُ صلواتِهِ وأكملُ تحياتِهِ على أشرفِ أنبيائِهِ وسيدِ رسلِهِ حبيبِهِ ومصطفاهُ أبي القاسمِ محمد ، وعلى أهلِ بيتِهِ الطيبينَ الطاهرينَ المعصومينَ المنتجبين ، واللعنةُ الدائمةُ على أعدائِهم أجمعينَ إلى قيامِ يومِ الدين .

ثم الصلاةُ التامةُ والتحياتُ الكاملةُ على سيدتِنا ومولاتِنا ، مليكةِ الدنيا عقيلةِ النساء ، عديلةِ الخامسِ مِنْ أهلِ الكساء ، سيدتِنا زينبَ بنتِ عليٍّ أميرِ المؤمنين ، وابنةِ فاطمةَ سيدةِ نساءِ العالمين .

تقول :

يابنةَ المرتضى أبي القِمَمِ الشُّمِّ ... تقَدَّسْتِ رِفعةً واعْتِلاءَ
قُمْتِ والسبطُ في جهادٍ تَهَاوَى ... دونَهُ الفِكْرُ رَجفةً وعياءَ
ذاكَ بالنفسِ قد فَدَى الحقَّ أَمَّا ... أنتِ بالصبرِ قد رَفَعْتِ النِّداءَ
تَتَهَاوَى القرونُ حولَ مبانيهِ ... ومازالَ مُشْمَخِرّاً بناءَ
لكِ في كربلاءَ أيُّ مقامٍ ... رَفَعَ الحقُّ باسمِهِ كربلاءَ
إنْ يَكُ السبطُ بالشهادةِ قد عاشَ ... فقد عِشْتِ بالأسارِ بقاءَ
ذاكَ أَدَّى شطراً وأَدَّيْتِ شطراً ... مِنْ نشيدٍ هَزَّ القرونَ غِناءَ
لَمْ يكنْ قتلُهُ بأكثرَ مِنْ سبيكِ ... في نظرةِ الخلودِ جزاءَ [1]

---

[1] – مع النبيِّ وآلِه ، للسيد محمد جمال الهاشمي ، ص٢٤٣ .

افتتـــاح :

درسُنا الشريفُ هذا مع بناتِ الزهراءِ وبناتِ الحوراء ، يدورُ حولَ خطبتَيها الشهيرتينِ في الكوفةِ والشام ، ولا بدَّ لنا قبلَ ذلكَ أنْ نستعرِضَ جوانبَ من سيرتِها وشخصيتِها الفذة .

أولاً : غرس النبوة والإمامة ، وثمرة الشجرة الطيبة :

مِنْ فاطمةَ بَضْعَةِ النبي ، ومِنْ عليٍّ الإمامِ الوَصِي ، بَزَغَ نورُ الكوكبِ الدُّرِّي ، فتَضَاعَفَتْ أنوارُ بيتِ النبوةِ والإمامةِ بعدَ إشراقِها بنورَي الإمامينِ الريحانتينِ الحسنِ والحسين ، فكانتْ (زينب) ثالثةَ الأولادِ ، وأُولى البنات .

وكانتْ إشراقةُ النورِ في السنةِ الخامسةِ أو السادسةِ مِنْ هجرةِ جدِّها الأعظمِ صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينةِ الطيبة .

ونِتَاجُ عليٍّ وفاطمةَ مَجْمَعُ الشرفِ كلِّ الشرفِ والكمالِ والجلال .

فما كلُّ جَدٍّ في الرجالِ محمدٌ ولا كلُّ أُمٍّ في النساءِ بَتُولُ
بجلالِ أحمدَ في مَهَابَةِ حيدرٍ قد أَنْجَبَتْ أُمُّ الأئمةِ زَيْنَبَا

ومحمدٌ وعليٌّ –وهما نَفْسٌ واحدةٌ– ونورانِ يلتقيانِ بأكرمِ أَبَوَين : السيدِ الجليلِ عبدِا لله ، وشيخِ الأباطحِ أبي طالبٍ عليهما السلام في شيبةِ الحمدِ وبيضةِ البلدِ عبدِالمطلب عليه السلام :

فيهِ الْتَقَى النورانِ منهُ افْتَرَقَا أَكْرِمْ بذاكَ الافتراقِ والْلِقَا
نُورٌ لعبدِا للهِ نورُ المُرْسَلِ وفي أبي طالبَ نورٌ لِعلي [1]

وخديجةُ أُمُّ المؤمنينَ الأولى ، وفاطمةُ بنتُ أسدٍ الهاشميةُ أُمُّ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام وكِلتاهما دوحةُ شَرَفٍ باذِخ ، ومَقَامٍ شامِخ ، وكفى بهما أُمَّينِ لعليٍّ وفاطمة ، وقرينتينِ لمحمدٍ وأبي طالب .

والشقيقانِ الإمامانِ الحسنانِ سيِّدَا شبابِ أهلِ الجنة ، ثَمَرَتَا الشجرةِ المحمديةِ العلوية ، تَنْضَمُّ إليهما ثمرةٌ مُبَارَكَةٌ أخرى ، وشقيقةٌ أولى ، تَقَرُّ بها عيونُ الذواتِ المقدسةِ كما قَرَّتْ بأَخَوَيها ، وتمتدُّ بها آثارُ الوحيِ والإلهامِ كما امتدَّتْ في أَخَوَيها مِنْ قبل .

"عن فاطمةَ بنتِ الحسينِ عن فاطمةَ الكبرى قالتْ : قالَ رسولُ ا للهِ صلى الله عليه وآله وسلم : كلُّ بَنِي أُمٍّ يَنْتَمُونَ إلى عَصَبَتِهِمْ إلاَّ وُلْدَ فاطمةَ فإني أنا أبوهم وعَصَبَتُهم"[2]

" عن فاطمةَ الصغرى عن فاطمةَ الكبرى قالت : قالَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : لكلِّ نَبِيٍّ عَصَبَةٌ يَنْتَمُونَ إليه ، وإنَّ فاطمةَ عَصَبَتِي التي تَنْتَمِي [إلي] " [3]

---

[1] – من مقطوعةٍ في عبدِالمطلب عليه السلام لأستاذِنا العلاَّمةِ الجليلِ الشيخِ حسين العمران – أَيَّدَهُ ا للهُ تعالى .

[2] – البحار ٢٢٨/٤٣ .

[3] – م س / ٢٣٠ .

" عن حماد بن عثمان قال : قلتُ لأبي عبدِا لله عليه السلام : جُعِلْتُ فِداك ، ما مَعْنَى قولِ رسولِ ا للهِ صلى الله عليه وآله وسلم : إنَّ فاطمةَ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فحَرَّمَ ا للهُ ذُرِّيَّتَها على النار ، فقال : المُعْتَقُونَ من النارِ هم وُلْدُ بَطْنِها الحسنُ والحسينُ وزينبُ وأُمُّ كُلْثوم " [١]

" وفي (الشرف المؤبد) للنبهاني عنه (ص) : "إنَّ ا للهَ عز وجل جَعَلَ ذريةَ كلِّ نَبيٍّ في صُلْبِهِ وإنَّ ا للهَ تعالى جَعَلَ ذريتي في صُلْبِ عليِّ بنِ أبي طالب" [٢]

وهؤلاء هم أهلُ البيتِ الطاهرِ الزكيِّ المباركِ مَهْبَطِ الوحيِ ومَعْدِنِ التنزيل ، وتلكُمُ الأسرةُ الإلهية .

﴿ والبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نباتُهُ بإذنِ ا لله ﴾ (الأعراف -٥٨) ﴿ أَلَمْ تَرَ كيفَ ضَرَبَ ا للهُ مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفَرْعُها في السماءِ تُؤْتِي أُكُلَها كلَّ حينٍ بإذْنِ ربِّها ﴾ (إبراهيم -٢٤) ﴿ ذريةً بعضُها مِنْ بعضٍ وا للهُ سميعٌ عليم ﴾ (آل عمران -٣٤)

ثانياً : اسمه السماء :

" لما وُلِدَتْ زينبُ (ع) جاءَتْ بها أُمُّها الزهراءُ (ع) إلى أبيها أميرِ المؤمنينَ (ع) وقالتْ : سَمِّ هذهِ المولودة ، فقالَ : ما كنتُ لأَسْبِقَ رسولَ ا للهِ (ص) -وكان في سَفَرٍ له- ولَمَّا جاءَ النبيُّ (ص) وسَأَلَهُ عليٌّ (ع) عن اسْمِها ،

---

[١] - م س /٢٣١ .

[٢] - زينب الكبرى /٢١ .

فقالَ : ما كنتُ لأَسْبِقَ ربي ، فهَبَطَ جبرئيلُ يَقْرَأُ على النبيِّ السلامَ مِنَ اللهِ الجليلِ وقال : سَمِّ هذهِ المولودةَ زينبَ (*) فقد اختارَ اللهُ لها هذا الاسم" (١)

ثالثاً : مواهب إلهية :

وقد حَظِيَ بيتُ عليٍّ وفاطمةَ بالألطافِ الإلهيةِ والعنايةِ الربانيةِ ، فهو مُختَلَفُ الملائكةِ ، ومَهْبَطُ الوحي ، ومَصْدَرُ النورِ والهُدَى ، ومَجْمَعُ الجلالِ والكمالِ والعِصْمَةِ والطهارة .

ومِنَ المظاهرِ والمآثرِ ما خُصَّتْ به السيدةُ (العقيلة) فجَعَلَها ثمرةً مباركَةً مِنَ الشجرةِ الطيبةِ : الجدُّ محمد ، والأبُ علي ، والأُمُّ فاطمة ، والأخوانِ الحسنُ والحسين ، فهي تتربَّى وتترعرَعُ بينَ يَدَي هؤلاءِ وفي أحضانِهم ، وتَدْرُجُ وتَرْتَقِي المَرَاقِي بينَهم ومَعَهم برعايتِهم ولَطِيفِ عنايتِهم .

والأصلُ الكريمُ والبلدُ الطيبُ ونورُ القرآنِ ، وهَدْيُ محمدٍ وتربيةُ عليٍّ وفاطمةَ وامتزاجٌ معَ الريحانتينِ عوامِلُ وبواعثُ ومُقَوِّمَاتٌ لِلْبُنْيَةِ الفكريةِ والروحيةِ والإنسانيةِ بأكملِ ما يمكنُ وأروعِ ما يُتَصَوَّر ، فسبحانَ مَنِ اختارَ لَهَا أَشْرَفَ ما خَلَقَ وأَبْدَعَ ما أَوْجَدَ من عوالِمِ الإمكان ، وسبحانَ الحكيمِ الذي يَضَعُ الأشياءَ مواضِعَها ، وسبحانَ الذي قَدَّرَ وهَدَى ، و للهِ هذهِ الدُّرَّةُ الفريدة ، قِلادةُ الشرفِ ، وجوهرةُ العِزِّ ، ومِثَالُ الحُظْوَة .

(*) الزينب : شَجَرٌ حَسَنُ المنظر ، طيبُ الرائحة ، وبه سُمِّيَتِ المرأة – معجم متن اللغة ٦٢/٣ .

(١) – زينب الكبرى /١٦ .

ومما أُثِرَ عنها من مَخَايِلِ الذكاءِ ومظاهِرِ العبقريةِ حديثُها مع أبيها وهي بَعْدُ في مدارِجِ الصِّبَا :

" يا أَبَتَاهُ أَتُحِبُّنا ؟ قال : نعم يا بُنَيَّتِي ، أولادُنا أكبادُنا ! فقالت : يا أَبَتَاهُ ، حُبَّانِ لا يجتمعانِ في قلبِ المؤمن : حبُّ اللهِ وحبُّ الأولاد ، وإنْ كان لا بُدَّ فالشَّفَقَةُ لنا والحبُّ للهِ خالصاً "

إنهُ حِوارٌ قصيرٌ جداً ، ولكنهُ يَكْشِفُ عنِ وَعْيٍ كبيرٍ في الطفلةِ البريئة ، إنها تُرِيدُ أَنْ تقولَ لأبيها : لقد تَلَقَّيْتُ منكَ ومِنْ أُمي درساً هو أَنَّ الحبَّ لا يكونُ إلا للهِ تعالى وأَنَّ المؤمِنَ لا يَعْمُرُ قلبَهُ إلا بحبِّ ربِّه ، ولذلكَ فإنَّ الحبَّ يكونُ لله ، وللأولادِ الشَّفَقَة " [1]

وهذهِ ليستْ مناقشةً منها لأبيها بل هي إظهارٌ لمَلَكاتِها .

رابعاً : العلم المفاخر :

والذواتُ الطيبةُ المبارَكَةُ معادِنُ علمٍ ومَنَاجِمُ معرفة ، وإذا كانَ المَوْطِنُ قابلاً للإفاضةِ مُعَدّاً للتَلَقّي والإفادة –والواهِبُ واسِعٌ مِعْطَاء– جَادَ عليهِ باريهِ فمَنَحَهُ قوةً في العقلِ ، وبَسْطَةً في العلمِ ، ورُسُوخَ إيمانٍ في القلب .

ومَنْ أَجْدَرُ بالموهبةِ مِنْ –عقيلةِ الوحي– وقد تَقَلَّبَتْ في الأنوارِ المقدسةِ والأصلابِ الشامخةِ والأرحامِ المطهرة ، ورَعَتْها أَحضانُ العصمة ، وغُذِّيَتْ بهَدْيِ النبوةِ والإمامة : مدينةِ العلمِ وبابِها .

---

[1] – فاطمة أم أبيها /٧٧ نقلاً عن مستدرك الوسائل ٢/٦٣٥ .

ولا غَرْوَ لو امتازَ أهلُ البيتِ في نَمَطِ علومِهم ومعارِفِهم ومَلَكَاتِهم ، فإنهم يمتازُونَ بَسببٍ قَصُرَ عنهُ غيرُهم (إنهم أَهْلُ بيتٍ زُقُّوا العِلْمَ زَقّاً) ، ولا يُقاسُ بآلِ محمدٍ أحد .

وخيرُ مَنْ يَكْشِفُ عن تلكُمُ المَلَكَاتِ الإمامُ المُتَحَلّي بأَجَلّها :

" وقد نَصَّ لها بهذهِ الكلمةِ ابنُ أَخِيها عليُّ بنُ الحسينِ (ع) (أنتِ بحمدِ اللهِ عَالِمَةٌ غيرُ مُعَلَّمَة ، وفَهِمَةٌ غيرُ مُفَهَّمَة) يريدُ أَنَّ مادةَ عِلْمِها مِنْ سِنْخِ ما مُنِحَ بهِ رجالاتُ بيتِها الرفيع ، أُفِيضَ عليها إلهاماً ومنذُ أيامِها الأولى فالإفاضةُ الإلهيةُ لا تنتظرُ مِنَ المُفاضِ عليهِ أنْ يكبُرَ ، ولم يكنْ علمُها بتَخَرُّجٍ على أستاذ ، وأَخْذٍ عن مَشْيَخَة ، وإنْ كانَ الحصولُ على تلك القوةِ الربانيةِ تهذيباتُ جَدِّها وأبيها وأُمِّها وأَخَوَيها ، أو لِمَحْضِ انتمائِها إليهم واتحادِها معهم في الطينة ، المُكَهْرَبَين لذاتِها القُدْسية ، فأُزِيحَتْ عنها بذلكَ الموانِعُ المادية ، وبَقِيَ مُقْتَضَى اللُّطْفِ الفَيَّاضِ وحدَه ، وإذْ كان لا يَتَطَرَّقُهُ البخلُ بتمامِ معانيهِ عادَتِ العِلَّةُ لإفاضةِ العلمِ كلِّهِ عليها بقَدَرِ استعدادِها تامَّةً ، فأُفِيضَ عليها بأَجْمَعِهِ إلا ما اختَصَّ بهِ أئمةُ الدينِ عليهم السلام مِنَ العِلْمِ المخصُوصِ بمَقَامِهِمُ الأسمى ، على أنَّ هنالِكَ مرتبةً سامية لا ينالُها إلا ذُو حظٍّ عظيم ، وهي الرُّتْبَةُ الحاصِلَةُ من الرياضَاتِ الشرعيةِ والعباداتِ الجامعةِ لشرائِطِ الحقيقةِ لا محضِ الظاهرِ المُوَفِّي لمقامِ الصحةِ والإجزاء ، فإن لها مِنَ الآثارِ الكشفيةِ ما لا نهايةَ لأَمَدِها ، وفي الحديث : (مَنْ أَخْلَصَ للهِ تعالى أربعينَ صباحاً انْفَجَرَتْ يَنَابِيعُ الحِكْمَةِ مِنْ قلبِهِ على لسانِه) ولا شكَّ أَنَّ

زينبَ الطاهرةَ قد أَخْلَصَتْ للهِ كلَّ عُمُرِها ، فماذا تَحْسَبُ أَنْ يكونَ المُتَفَجِّرُ مِنْ قلبِها على لسانِها مِنْ ينابيعِ الحِكمة " [١]

مدرس التفسير :

" إنَّ زينبَ كانَ لها مجلسٌ في بيتِها أيامَ إقامةِ أبيها (ع) في الكوفةِ ، وكانتْ تفسرُ القرآنَ للنساء " [٢]

خامساً : خزانة الأسرار :

قالَ الإمامُ عليُّ بنُ الحسين عليهما السلام لزَايدَة :

" فلأُخْبِرَنَّكَ بخبرٍ كانَ عندي في النَّخْبِ المخزون ، فإنهُ لَمَّا أَصابَنا في الطَّفِّ ما أصابَنا وقُتِلَ أبي (ع) وقُتِلَ مَنْ كانَ معهُ مِنْ وُلْدِهِ وإخوتِهِ وسائِرِ أهلِه ، وحُمِلَتْ حَرَمُهُ ونساؤُهُ على الأقتابِ يُرَادُ بنا الكوفة ، جَعَلْتُ أَنْظُرُ إليهِمْ صَرْعَى لم يُوَارَوا ، فعَظُمَ ذلك في صَدْرِي واشْتَدَّ لِمَا أَرَى منهم قَلَقِي فكادَتْ نفسِي تَخْرُج ، وتَبَيَّنَتْ ذلك مني عمتي زينبُ الكبرى بنتُ عليٍّ (ع) فقالت : ما لي أراكَ تَجُودُ بنفسِكَ يا بَقِيَّةَ جَدِّي وأبي وإخوتي ؟ فقلتُ: كيف لا أَجْزَعُ وأَهْلَعُ وقد أرى سيدي وإخوتي وعُمُومَتي ووُلْدَ عَمِّي مُصَرَّعِينَ بدمائِهم مُرَمَّلِينَ بالعَرَاءِ مُسَلَّبِينَ لا يُكَفَّنون ولا يُوَارَون ولا يُعَرِّجُ عليهم أَحَدٌ ولا يَقْرَبُهم بَشَرٌ كأنَّهم أهلُ بيتٍ مِنَ الدَّيْلَمِ والخَزْر ،

---

[١] – زينب الكبرى /٣٤ .

[٢] – وفاة زينب الكبرى / ١٤ .

فقالتْ : لا يُجْزِعَنَّكَ ما تَرَى فوا للهِ إنَّ ذلك لَعَهْدٌ مِنْ رسـولِ اللهِ (ص) إلى جدِّكَ وأَبيكَ وعَمِّكَ ، ولقد أَخَذَ اللهُ ميثاقَ أُنَاسٍ مِنْ هذهِ الأمةِ لا تَعْرِفُهُـمْ فَرَاعِنَةُ هذه الأمةِ وهم مَعْرُوفونَ في أهلِ السماواتِ ، أنّهـم يَجْمَعُونَ هـذهِ الأعضاءَ المتفرقةَ فيُوَارُونَها وهذهِ الجُسُـومَ المُضَرَّجَـةَ ويَنْصِبُـونَ لهـذا الطَّـفِّ عَلَمَاً لِقَبرِ أَبيكِ سيدِ الشهداء ، لا يَدْرُسُ أَثَرُهُ ولا يَعْفُو رَسْمُهُ علـى كُـرُورِ الليالي والأيام ، ولَيَجْهَدَنَّ أئمةُ الكُفْرِ وأشياعُ الضلالةِ في مَحْوِهِ وتَطْمِيسِـهِ فلا يزدادُ أَثَرُهُ إلا ظُهوراً وأَمْرُهُ إلا عُلُوّاً ، فقلتُ : وما هذا العَهْدُ وما هـذا الخبر ؟ فقالت : نعم حَدَّثَتْني أُمُّ أيمنٍ أَنَّ رسولَ اللهِ (ص) زارَ فاطمةَ (ع) في يومٍ مِنَ الأيامِ فعَمِلَتْ له حريرةً وأَتاهُ عليٌّ (ع) بطَبَقٍ فيهِ تمرٌ وأَنَّهُ ﷺ سُـرَّ بنظرِهِ إلى أهلِ بيتِهِ ثم ما لَبِـثَ أَنْ طـالَ نَشِـيجُهُ وعـلا نَحِيبُـه ، فاسْـتَفْهَمَتْهُ فاطمةُ وعليٌّ فأَجَابَهما بأَنَّ جبرئيلَ (ع) هَبَطَ مُخْبِراً عَنِ اللهِ بما اطَّلَـعَ عليـهِ مِنْ عظيمِ سرورِ نبيِّهِ بآلِهِ وما لهم مِنَ القُرْبَى والزُّلْفَى وأَنْبَأَهُ بما يجري عليهـم مِنْ بَلْوَى كثيرةٍ تنالُهم في الدنيا ، ومكـارِهَ تُصِيبُهـم بـأيدِي أُنـاسٍ يَنْتَحِلُـونَ مِلَّتَكَ ويَزْعُمُونَ أنّهم مِنْ أُمَّتِكَ بَرَاءٌ مِنَ اللهِ ومِنك ، خَبْطاً خَبْطاً وقَتْلاً قَتْلاً ، شَتَّى مَصَارِعُهُمْ ، نائِيَةٌ قبورُهم ، فحَمِدَ اللهُ رسولُهُ ورَضِيَ بقَضَائِـه ، ثُـمَّ أَنْبَأَهُ عن أَمْرِ عليٍّ والحسينِ عليهما السلام وما يجري عليهمـا ، ومـا ادَّخَـرَهُ اللهُ مِـنْ جزاءٍ ومكافَأَةٍ للزائرين ، ثم قالَ النبيُّ ﷺ : فهذا أَبْكَاني وأَحْزَنَني ، قالتْ زينبُ (ع) : فلما ضَرَبَ ابنُ ملجمٍ -لعنَهُ اللهُ- أبي عليه السلام ورأيتُ عليه أَثَـرَ

الموتِ منه ، قلتُ له : يا أَبَةِ حَدَّثَتْنِي أُمُّ أيمنِ بكذا وكذا وقد أَحْبَبْتُ أَنْ أَسْمَعَهُ منك ، فقال : يا بُنَيَّةُ الحديثُ كما حَدَّثَتْكِ أُمُّ أيمن " [١]

سادساً : الأمور الواعيـــة :

" روى ابنُ عباسٍ عنها كلامَ فاطمةَ (ع) في فَدَكٍ فقال : حَدَّثَتْنِي عقيلَتُنا زينبُ بنتُ علي " [٢]

وقد ذكرْنا في شرحِ خطبةِ أُمِّها السيدةِ الزهراءِ عليها السلام انتهاءَ كثيرٍ مِنْ أَسانيدِها إليها –سلامُ اللهِ عليها– ومِنَ المعلومِ أنَّها آنذاكَ لَمْ تَزَلْ تَدْرُجُ في مَدَارِجِ الصِّبَا . [*]

سابعاً : النيابـــة عن الإمـــام المعصـــوم :

حَدَّثَنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ قال : دخلتُ على حكيمةَ بنتِ محمدِ بنِ عليٍّ الرضا أُخْتِ أبي الحسنِ العسكري عليه السلام في سنةِ اثنتينِ وثمانينَ بالمدينةِ فكلمتُها مِنْ وراءِ الحجابِ وسَأَلْتُها عن دينِها فسَمَّتْ لي مَنْ تَأْتَمُّ به ثم قالتْ : فلانُ بنُ الحسنِ عليه السلام فسَمَّتْه ، فقلتُ لها : جعلني اللهُ فِدَاكِ ، مُعَايَنَةً أو خبراً ؟ فقالتْ : خبراً عن أبي محمدٍ عليه السلام فقلتُ لها : أَقْتَدِي بِمَنْ وَصِيَّتُهُ إلى المرأة ؟

---

[١] – البحار ٥٥/٢٨ عن كامل الزيارات ، في حديثٍ طويلٍ أوردْنا هنا جملةً منه واختصَرْنا جملةً أخرى .

[٢] – مَقَاتِلُ الطالبيين /٩١ .

[*] وُلِدَتِ السيدةُ زينبُ –عليها السلام –في سنة ٦هـ ، وألقتِ الزهراءُ خطبتَها في سنة ١١هـ ، فتكونُ زينبُ –عليها السلام– في سِنٍّ أقلَّ من ٦ سنوات .

فقالتْ : اقتداءً بالحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام إنَّ الحسينَ بنَ عليٍّ عليه السلام أَوْصَى إلى أُختِهِ زينبَ بنتِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ عليه السلام في الظاهِرِ ، وكانَ ما يخرُجُ مِنْ عليٍّ بنِ الحسينِ مِنْ عِلْمٍ يُنْسَبُ إلى زينبَ بنتِ عَلِيٍّ تَستُّراً على عليٍّ بنِ الحسين ، ثم قالتْ : إنكم قومٌ أصحابُ أخبار ، أَمَا رَوَيْتُمْ أَنَّ التاسعَ مِنْ وُلْدِ الحسينِ عليه السلام يُقَسِّمُ ميراثُهُ وهو في الحياة " [1]

ثامناً : قرينة الأحزان وحليفة الأشجان :

و للهِ في خلقِهِ شؤون ، إنما الدنيا أُعِدَّتْ لبلاءِ النُّبلاء ، فها هي زينبُ تبدأُ رحلةً في موكبِ المآسي وهي بَعْدُ في مدارجِ الحياةِ الأولى ، وما أسرعَ زوالَ ذلكُمُ الظِّلُّ المبارَكُ الذي تَفَيَّأَتْ وارِفَه .

فقدُ النبيِّ والرُّؤْيا المُزْعِجَة :

" فجاءَتْ زينبُ إلى جَدِّها رسولِ اللهِ (ص) وقالتْ : يا جَدَّاهُ ، رأيتُ البارحةَ رُؤْيا ، إنها انْبَعَثَتْ ريحٌ عاصِفَةٌ سَوَّدَتِ الدنيا وما فيها ، وأَظْلَمَتْها وحَرَّكَتْني من جانبٍ إلى جانب ، فرأيتُ شجرةً عظيمةً فتعلقتُ بها من شدةِ الريح ، فإذا بالريحِ قَلَعَتْها وأَلْقَتْها على الأرض ، ثم تعلقتُ على غصنٍ قويٍّ مِنْ أغصانِ تلكَ الشجرةِ فقَطَعَتْها أيضاً ، فتعلقتُ بفرعٍ آخرَ فكَسَرَتْهُ أيضاً ، فتعلقتُ على أحدِ الفرعينِ من فروعِها فكَسَرَتْهُ أيضاً ، فاستيقَظْتُ من نومي ، فبكى (ص) وقالَ الشجرةُ جدُّك ، والفَرْعُ الأولُ أُمُّكِ فاطمة ،

---

[1] – كمالُ الدينِ وتمامُ النعمة /٥٠١ وأوردَها ثانيةً ص٥٠٧ باختلافٍ في السند .

أقول : ومعلومٌ أنَّ المقصودَ بسنةِ (٨٢) إنما هو بعدَ الـ (٢٠٠) .

والثاني أبوكِ علي ، والفَرْعَانِ الآخَرَانِ هما أَخَوَاكِ الحسنان ، تَسْوَدُّ الدنيا لِفَقْدِهم ، وتلبسينَ لباسَ الحدادِ في رَزِيَّتِهم . [1]

إنهُ نبأُ الغيبِ وإرهاصُ المستقبل ، وإعدادٌ لِتَحَمُّلِ مكارِهِ الدهرِ وخطوبِ الزمان ، ولعلَّ شرحاً وإيضاحاً بَسَطَ فيهِ ﷺ ما يَكْتَنِفُ هاتيكَ الرزايا من عظيمِ البلاءِ وبالغِ المحنة ، وقد فُجِعَتْ بأَعَزِّ مفقودٍ وأَعْظَمِ موجود ، ولَمْ تَمْتَلِيءْ مِنْ كريمِ شخصِهِ عينُها ، ولَمْ تَنْعُمْ بوافِرِ لُطْفِهِ طويلاً حياتُها ، وكانَ هذا الفَقْدُ الباكرُ بدايةً لسلسلةِ مصائبَ تَتْرَى تَفَرَّعَتْ عن فقدِ الأصل

فلستَ ترى وا للهِ ما عِشْتَ فادِحاً بأعظمَ مِنْ رُزْءِ النبيِّ محمدِ

الفجيعةُ الثانيةُ بشهادةِ أُمِّها الزهراء :

" وخَرَجَتْ أُمُّ كلثومٍ وعليها بُرْقُعَةٌ تَجُرُّ ذيلَها مُتَجَلْبِبَةً بردِاءٍ عليها تسحبُهُما وهي تقول : يا أبتاهُ يا رسولَ الله ، الآنَ حقاً فَقَدْناكَ فَقْداً لا لقاءَ بعدَهُ أبداً "

واتَّسَعَ الجُرْحُ العميقُ ، فسَرْعَانَ ما أُصِيبَتْ بأُمِّها الحانية ، والتي كانَ في وجودِها سُلْوَةٌ وعزاءٌ بعد فقدِ أبيها رسولِ الله ، مع ما لِلأُمِّ ... ولأُمٍّ كفاطمةَ مِنْ شأنٍ ودورٍ ولا سيما لِبِنْتٍ كزينب ، وما أشدَّ الحسرةَ وأقسى اللوعةَ على الفاقِدِ حينما يعلَمُ كيف عاشَ ومضى فقيدُه ، وقد عايَشَتْ زينبُ أُمَّها ورَأَتْ بعينِها وسَمِعَتْ بأُذُنِها وأَدْرَكَتْ بفكرِها ما جرى على

---

[1] – زينب الكبرى /١٩ .

أمُّها طيلةَ الأشهرِ القليلةِ في العددِ ، الكثيرةِ في البلاءِ والعناء ، وقد تَنكَّرَ لها الأقربُونَ والأبْعَدُون ، وجَفَوْها وآذَوْها ورَوَّعُوها ، لا أقوى على التصورِ فضلاً عن التصويرِ والتعبيرِ ، كيف كانتْ زينبُ وهي الفَطِنَةُ اللبيبةُ اللَّمَّاحَةُ حينما تَسْمَعُ مُنْكَراً مِنْ صوتٍ يَزْبِدُ ويَرْعِدُ ويُهَدِّدُ ، وهو جادٌّ فيما يتوَعَّد " أَخْرِجِي مَنْ في البيتِ وإلاَّ أَحْرَقْتُهُ ومَنْ فيه ، قال : وفي البيتِ عليٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ وجماعةٌ مِنْ أصحابِ النبي ﷺ فقالتْ فاطمة : تَحْرِقُهُ على وُلْدِي ؟ قال : إيْ وا للهِ أَوْ لَيَخْرُجَنَّ ولَيُبَايِعَن " [1]

---

[1] – فاطمة بهجةُ قلبِ المصطفى ٥٢٥/٢ من عدةِ مصادر ، وحديثُ هذا الخطبِ شاعَ وذاعَ وملأَ الأسماعَ والأصقاع ، والباحثُ في غِنَىً عن تعدادِ مصادرِهِ الكثر ، واقرأْ إنْ شئتَ في ذلك (العقد الفريد) ٢٥٠/٢ و(تأريخ أبي الفدا) ١٥٦/١ و(أعلام النساء) ١٢٠٧/٣ و(تأريخ الطبري) ١٩٨/٣ و(الإمامة والسياسة) ١٣/١ و(شرح ابن أبي الحديد) ١٣٤/١ و(الملل والنحل) ٨٣ و(أنساب الأشراف) ٤٠٤/١ إلى ما لا يُحْصَى كثرة .

قال الأستاذ عبدالفتاح مقصود : ثم تحدثَ غيرُ هؤلاءِ وهؤلاءِ بأنَّ (النارَ) هي الوسيلةُ إلى حفظِ الوحدةِ وإلى (الرضا) والإقرار ! ... وهل على ألسنةِ الناسِ عِقَالٌ يمنعُها أنْ تروِيَ قصةَ حطبٍ أَمَرَ به ابنُ الخطاب فأحاطَ بدارِ فاطمةَ وفيها عليٌّ وصَحْبُهُ لِيكونَ عِدَّةَ الإقناعِ أو عِدَّةَ الإيقاع ؟ ... وراحتِ الزهراءُ وهي تستقبلُ الثرى الطاهرَ تستنجدُ بهذا الغائبِ الحاضر : يا أبتِ رسولَ الله ! ... ماذا لَقِينا بعدَكَ من ابنِ الخطابِ وابنِ أبي قحافة .

وقد عَدَّ شاعرُ النيلِ حافظُ إبراهيم ذلك من المناقب :

وبعدَ تلكَ الممانَعَةِ والمدافَعَةِ فماذا نرى شعورَ البنتِ تِجَاهَ أُمِّها وهي ترى ما ترى وتُحِيطُ بما جرى وماذا كان نصيبُها مِنَ الترويعِ والإيذاء وهي مدهوشةٌ تتعلقُ بأذيالِ أُمِّها وهي لا تقوى على إسعافِ أُمِّها وإنقاذِها ونُصْرَتِها ، ولذا فقد استعانتْ بخادمتِها " يا فضةُ إليكِ فخُذِيني وإلى صدرِكَ فسَنِّديني ، فقد وربي أَسْقَطُوا جنيني "

قلْ لي بربكَ كيفَ تتصورُ الدهشةَ والحيرةَ لِمَرْعُوبةٍ لا تقوى لجللِ المُصَابِ وعظيمِ وَقْعِهِ وجليلِ خطبِهِ أَنْ تصنعَ شيئاً يحميها أو يدفَعُ عن أُمِّها .

وما انتهى هذا المشهدُ العنيفُ حتى تلفتَتْ – ولَمْ يهدأْ رَوْعُها ولَمْ يسكُنْ بعدُ قلبُها – فرأتْ ويا لِهَوْلِ ما رأتْ أَنَّ طُغْمَةً مِنَ الجُفاةِ وشِرْذِمَةً مِنَ الأَوْباشِ أَوْغَلَتْ في انتهاكِ الحُرُماتِ ، فاقتادَتْ أباها يُتَعْتَعُ بهِ ويُدْفَعُ أَعْنَفَ دَفْعٍ لِيُبَايِعَ القومَ في سقيفةِ بني ساعدةَ وإلا فالقَتْل ، وقد سَمِعَتْ آنِفاً التهديدَ بالإحراقِ بالنارِ ولَتَلْتَهِمْ نارُهم علياً وفاطمةَ والحسنَ والحسينَ وزينبَ وأُمَّ كلثومٍ ومَنِ اعتصَمَ ببيتِ العِصْمَة .

وما أدري هل لَحِقَتْ بأُمِّها –وما أجلَّ فاطمةَ وأعظمَها–وقد تناسَتْ آلامَها لِتُخَلِّصَ الإمامَ وتدفَعَ عنهُ بما تَقْوَى ولو كَلَّفَها حياتَها ، فحياةُ إمامِ الأمةِ أولى بالصيانةِ والحفاظِ . إنَّ طبيعةَ التناسُبِ في الأحداثِ ، والانسجامَ في

وقولةٌ لعليٍّ قالَها عمرٌ ... أَكْرِمْ بسامِعِها أَعْظِمْ بِمُلْقِيها
حَرَّقْتُ دارَكَ لا أُبْقِي عليكَ بها ... إنْ لَمْ تُبَايِعْ وبِنْتُ المصطفَى فيها
ما كان غيرُ أبي حَفْصٍ يَفُوهُ بها ... أَمامَ فارسِ عدنانٍ وحامِيها

ملابساتِ المحنةِ المشتركةِ تَفرِضُ ذلك وتُمْليه ، ولاسيما والأَبَوانِ مِلْءُ جوانحِ البِنْتِ وقَوَامُ حياتِها .

وتَمُرُّ الأيامُ بالأحداثِ الجِسامِ تِبَاعاً ، وتدورُ ساعاتُ الخطوبِ سِرَاعاً فها هي تَحُسُّ بأَنْ لَدَى أُمِّها عظيماً تُزْمِعُ على العنايةِ به ، وسَرْعَانَ ما أَجْمَعَتْ فاطمةُ أمرَها وجَمَعَتْ حفدتَها ومَنِ اختارَتْ مِنْ نسائِها فشَكَّلَتْ لُمَةً وخَرَجَتْ في موكبٍ مُعَبِّرٍ عَدَلَتْ عن أقربِ طريقٍ يؤدي إلى المَقْصَدِ وسَلَكَتِ الطريقَ الأعظمَ لِتُحَاكِمَ الأمةَ والحاكمَ في مسجدِ أبيها . ومَنْ أقرَبُ إلى قلبِ الزهراءِ مِن ابنتِها زينب؟ أَيَسَعُ قلبَ الأُمِّ الحانيةِ أَنْ تتركَ بِكْرَ بناتِها مع شقيقةٍ أصغرَ منها ؟ أَيَسَعُ قلبَ زينبَ وتَسْكُنُ مشاعرُها دونَ أَنْ تتعلّقَ بأُمِّها وتُمْسِكَ بأطرافِها ؟ أعتقِدُ أنّها أَمْسَكَتْها بيُمنى يَدَيْها أو بينَ يَدَيْها وأَجْلَسَتْها في حِجْرِها ، وأَدْنَتْها مِنْ قلبِها لِتُسْمِعَها خَفْقَ قلبِها ، وتُمِسَّها دِفْءَ رُوحِها ، وتَهْمِسَ إليها : أَدْرِكِي حَجْمَ الموقفِ وأَوْلِيهِ حَقَّهُ ، فالتاريخُ مُشْتَرَكٌ بينَ حاضِرِي ومُسْتَقْبَلِكِ يا شبيهةَ أُمِّها .

أجلْ شَهِدَتِ الموقفَ وجلالَهُ ووَعَتْ ورَوَتْ ما سَمِعَتْ ووَعَت .

الفجيعةُ الثالثةُ بأبيها أميرِ المؤمنينَ عليه السلام :

ولَصِقَتْ زينبُ بأبيها فقامَ على رِعايتِها وإرواءِ عاطفتِها بعدَ فقدِها لجدِّها وأُمِّها ، وما لَحِقَها مِنْ آثارِ ذلك ، فزَقَّها العِلْمَ وغَرَسَ فيها الصبرَ ونَحَلَها أعظمَ ما يُتَصَوَّرُ من حُسْنِ الأدب ، حيثُ المُرَبِّي عليٌّ العظيم ، والمُرَبَّيَةُ

الجوهرةُ النادرة ، ففتحَ لها بابُ مدينةِ العلمِ منافِذَ العلومِ ولطـائفَ الحِكمـةِ والمعارفِ والأسرار .

وقد حَظِيَتْ زينبُ في ذلك أعظمَ حُظْوَةٍ ولمدةٍ مديدةٍ تربُـو علـى نِصْـفِ مـا وَهَبَهـا اللهُ مـن حيـاة ، فبلَغَـتْ بذلـك مِـنَ الكمـالِ مـا لا يَعْلَـمُ مـداهُ إلا الراسخون .

وعادَ الأبُ عزاءَ ابنتِه ، وعادَتِ البِنْتُ سُلْوَةَ أبيها ، فيرى فيها الزهراء .

والإمامُ الوَصِيُّ اعتزَلَهُ الناسُ فاعتزَلَهُمْ ، وفَرِغَ لشؤونِهِ الخاصةِ به ، فكانتِ ابنتُهُ تتوَفَّرُ على لُقْيـاه ، حتـى آبَ الحـقُّ إلى نِصابِـهِ وفَـاءَ الأمـرُ إلى أهلِـه ، انداحَتْ لهُ المِحَنُ الضارِيَةُ فخاضَ غِمَارَها -بـأبي وأمـي- بحكمتِـهِ وعلمِـهِ وقوتِهِ وإيمانِه ، وخَفَّ إلى الكوفةِ واتَّخَذَها عاصمةَ الخلافـة ، ولكـنَّ بَضْعَتَـهُ ما تَخَلَّفَتْ عنهُ بل لَحِقَتْ بِرَكْبِه ، وشاطَرَتْ بمشاعرِها قلبَه ، ووَقَفَتْ علـى ما جَمَعَهُ الدهرُ مِنْ عظيمِ البلاءِ وبالغِ المحنةِ فقَذَفَ بكـلِّ ذلـكَ نحـوَ أبيهـا ، فـإذا بـالجملِ وعائشـةَ ومَـنْ رَكَـنَ إليهـا ، ويَعْقِـبُ الجمـلَ صفـينُ ومعاويـةُ ويَتْلُوهُما النهروانُ والخوارج ، ويَتَلَوَّنُ النـاسُ وتُشَـابُ القلـوبُ بالنفـاق ، ويَمْتَلِكُها حبُّ دنيا معاوية ، ويَرْمُونَ بـالحقِّ وأهلِـه ، ويَبْرَمُ بهِـمُ الإمـام ، فإذا الآمالُ قد خابتْ ، والرجاءُ قد انْقَطَع ، وعادَ عليٌّ الإمامُ مغلوبـاً على أمرِهِ كما كان ، وما امْتَدَّتْ أيامُ حُكْمِهِ وبَسْطِ دولتِه ، وهذه طلائعُ هيمنةِ آلِ أبي سفيانَ تغزُو وتُغِـيرُ علـى بـلادِ الإسـلامِ ومعـاقِلِ المؤمنـين ، والإمـامُ يَسْتَصْرِخُ ويَسْتَنْهِضُ ويَسْتَثِيرُ الهِمَمَ ويُحَرِّكُ العزائِم ، فلا مِنْ سامعٍ ولا مـن مُطيعٍ وقد مَلَؤُوا قلبَهُ قَيْحاً ، وتلاحَقَتِ النُّـوَبُ والمكـارِهُ كالبـرقِ الخـاطِفِ

حتى نَفَّذَ الحقدُ عزمَهُ فتحَيَّنَ انقطاعَ الإمامِ إلى ربِّهِ وعُروجَهِ في صلاتِهِ ، فأَهْوَى بسيفِه وأَغْمَدَهُ في مِفْرَقِهِ ، فانهَمَرَتْ دماؤُهُ وفاضَ منها محرابُه ، وها هي رُؤْياها تحقَّقَتْ ثالثةً فاشتدَّ التحامُها بأبيها فكانتْ لا تُفارِقُه ، تسهرُ ليلَها عندَهُ وتبقَى نهارَها لديه ، وتُغالِبُها دموعُها فتبكيهِ ، فيقولُ لها ما يُبْكِيكِ يا بُنَيَّة ؟ فقالتْ : ذَكَرْتُ يا أَبَه أَنَّكَ تفارِقُنا الساعةَ فبَكيت ، فقال لها : يا بنيةُ لا تبكين ، فوا للهِ لو تَرَيْنَ ما يرى أبوكِ ما بَكَيتِ . [1]

وها هو وفي ساعاتِهِ الأخيرةِ وقد جَمَعَ أولادَهُ وأهلَ بيتِهِ ينصَحُهم ويُوصِيهم ، ويَخُصُّ الإمامينِ بأسرارِهِ " يا أبا محمدٍ ويا أبا عبدِا لله كأني بكما وقد خرجتْ عليكما مِنْ بعديَ الفِتَنُ مِنْ ههنا فاصبِروا حتى يحكمَ ا للهُ وهو خيرُ الحاكمين ، يا أبا عبدِا لله أنتَ شهيدُ هذهِ الأمةِ فعليكَ بتقوى ا للهِ والصبرِ على بلائِه . [2]

والعقيلةُ كلُّها سمعٌ ووعيٌ ، وقضيةُ الحسينِ قضيتُها وهي شريكتُهُ في أمرِه ، فهل أَلْمَحَ إليها أبوها بما خبَّأَ الغيبُ لها ؟! أَمْ أَنبَأَها بطرفٍ من ذلك ؟!

إنَّ طبيعةَ الأحداثِ تدعو إلى القولِ بذلك ، ولا سيما لخُزانةِ الأسرارِ وحاملةِ الأعباء ، والمُدَّخَرَةِ للاضْطلاعِ بالمَهامِّ الجِسام .

---

[1] – البحار ٢٠١/٤٢ .

[2] – البحار ٢٩٢/٤٢ .

الرزيةُ الرابعة : فقدُها شقيقَها الإمـامَ الحسـنَ المجتبى عليه السلام :

وعادتِ السيدةُ العقيلةُ إلى المدينةِ في ركبِ أخيها الإمامِ الحسن ، وعايَشَتْهُ وعاشتْ معهُ مِحَنَهُ وبلاءَه ، وكأنما شاءَ اللهُ لآلِ بيتِ نبيِّهِ ومَصْطَفَاهُ البلاء ، فتجَرَّعُوا الغُصَصَ غصةً بعدَ غصة ، فكان الإمام الحسنُ المُبْتَلَى والممتَحَنَ ، فَخَذَلَهُ حتى أقربُ الناسِ إليه ، وأَمَسُّهم بهِ وَشِيجة ، ومُنِيَ بمعاويةَ الذي اشترى دينَ الأمةِ بدنياه ، وما اكتفى معاويةُ بذلك حتى جَرَّعَ الإمامَ الصابرَ حرارةَ السموم ، فقَطَّعَتْ أحشاءَ ريحانةِ رسولِ اللهِ وسبطِهِ الأول [1] وما قَنَعَ القومُ بهذا حتى أبَوا عليهِ أنْ يُدْفَنَ في بيتِ جدِّهِ وأبيهِ وأُمِّه ، فخرجتْ عائشةُ وأشياعُها للحيلولةِ بينَهُ وبينَ ذلك ، وقد أَنْبَأَ الإمامُ بما سيجهرُ بهِ القومُ مِنْ حقدِهِمُ الدفين ، خرجتْ عائشةُ على بغلٍ كما خرجتْ على أبيهِ على جمل ، ونجحتْ في مسعاها بعد جدالٍ عنيف ، وما أُوْدِعَ جثمانُ الإمامِ في البقيعِ الغرقدِ إلا بعدما اسْتُلَّ مِنْ أكفانِهِ سبعونَ

---

[1] – ذُكِرَ أنَّ الإمامَ الحسنَ عليه السلام طلبَ من أخيهِ الإمامِ الحسين عليه السلام تنحيةَ طستٍ كانَ قد أفْرَغَ فيهِ قطعاً من كبدِه لئلاَّ تنظرَ إلى ذلك أختُهُما الحوراءُ –عليها السلام– وقد نَظَمَ ذلك العلامة المتفاني في حبِّ آلِ محمدٍ شيخُنا الأجلُّ الشيخُ علي الجشي –رحمهُ الله– فقال :

للهِ زينبُ ، ما رأتْهُ زينبٌ أُمُّ المصائبْ
لَمَّا تقيَّأَ مهجةً تُفْدَى بما بينَ المغاربْ

ديوان العلامة الجشي ١/١٠٠

سهماً ، فبعينِ اللهِ ما لَقِيَ ريحانةُ المصطفى ، سيدُ شبابِ أهلِ الجنة ، إمامُ السلامِ والحلمِ الذي لا يُوازَنُ به الجبال . [1]

وهكذا عاشتِ العقيلةُ الجليلةُ قرابةَ عقدٍ من الزمنِ تشهدُ مشاهدَ الإمامِ الممتحنِ ، وترى ما مُنِيَ بهِ مِنْ مكارهِ الدهرِ ونَكَدِ الحياةِ ومرارةِ العيشِ حتى مضى شهيداً صابراً محتسِباً .

---

[1] – اقرأ عن تلكم المآسي (حياةُ الإمامِ الحسن) للقرشي ٢/٤٩٢ ، وقال شاعرُ أهلِ البيتِ الشيخُ الفرطوسي :

حملوهُ لكي يُجَدَّدَ عهدٌ ... فيهِ من قبرِ خاتَمِ الأنبياءِ
فتعاوَنْ كلابُ حربٍ عليهِ ... بعِواءِ البغضاءِ والشحناءِ
حينَ أَمّوا نعشَ الزكيِّ وفيهِمْ ... أُمُّهمْ تستغيثُ بالأبناءِ
رَكِبَتْ بغلةَ الضلالِ فأَحْيَتْ ... جَمَلَ الغَدْرِ في ثرى الفيحاءِ
منعوهُ من جدِّهِ وهْوَ منهُ ... حينَ يُعْزَى حشاشةُ الأحشاءِ
ورموهُ فسُلَّ سبعونَ سهماً ... منهُ من بعدِ أمرِها للعِداءِ

ملحمة أهل البيت ٣/١٥٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الزهراء عليها السلام

الدرس الثاني ١٤١٧/١١/٩هـ

شرح خطبتي السيدة زينب

عناصر الدرس :

والرزيةُ الخامسة ... جامعةُ الأرزاءِ .

المقاماتُ العالية ، والمَثَلُ الأعلى .

جلالٌ وعنايةٌ من الأئمةِ المعصومين .

سيدةُ البيتِ الهاشمي .

الإجلالُ والخلود .

مُعْتَكَفُ العبادة ، ومَعْبَدُ العواطف .

حديثُ الأجيال .

عروجُ روحِها .

بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم

والرزيةُ الخامسة ... جامعةُ الأرزاءِ ...

في رُزْئِها بأخيها سيدِ الشهداء عليه السلام :

وللحوراءِ مع شقيقِها الإمامِ الحسينِ تأريخُ حياةٍ حافل ، فقد كان مِلْءَ حياتِها ، كما كانتْ مِلْءَ حياتِه ، وعايشتْ معهُ كلَّ حياتِها ، وهي التاليةُ لهُ فيمن أنجبتْ أُمُّها الزهراء ، ولَمْ تَطُلْ لها مدةٌ بعدَ شهادتِهِ إلا بمقدارِ ما سبقَها من ولادتِه .

ولم تكنْ ملحمةُ الطفِّ حَدَثاً مباغِتاً مُرْتَجَلاً ، فالإمامُ وشقيقتُهُ على علمٍ مسبقٍ بمآيلِ الأمور ، والقَدَرِ المقدور ، والإمامُ محيطٌ بوظيفتِهِ عالِمٌ بقضيتِهِ خبيرٌ بدورِ شريكتِه ، فلا بدَّ إذَنْ أنْ يطلِعَها على حقيقةِ الواقع ، ونمطِ المشاركةِ والدورِ الذي ستَضْطَلِعُ بهِ الشريكةُ في قضيتِهِ ، وقضيتُها قضيتُه ، مضافاً إلى سابقِ علمِها وسالفِ إعدادِها للمشارَكَةِ العظمى في النهضةِ الكبرى .

وقد تجلتْ في حياتِهما عليهما السلام عواطِفُهُما المتبادَلَة ، ومشاعِرُهُما الفيَّاضَة ، فلقد كانَ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ الحسينُ يَرْمُقُ أختَهُ الحوراءَ بعينِ الإجلالِ والإكبار ، ويَخُصُّها بنمطٍ مميزٍ مِنَ الإكرام ، فقد رووا عنهُ أنهُ إذا زارَتْهُ يقومُ إجلالاً لها ، وكانَ يُجْلِسُها في مكانِه ، وأنها دخلتْ على الحسينِ (ع) وكانَ يقرأُ القرآنَ فوضَعَ القرآنَ على الأرضِ وقامَ لها إجلالاً . [1]

---

[1] – زينب الكبرى / ٢٢ وَ ٢٩ .

فما أشبهَ وأقربَ ذلك من قيامِ رسولِ اللهِ ﷺ لبضعَتِهِ فاطمةَ وإجلاسِها مَجْلِسَه .

وأما تفانيها في حبِّهِ ففي أحداثِ الطفِّ شواهدُ لا تَفِي هذهِ الإلمامةُ بإيفائِها ، ومَنْ أَلَمَّ بالسيرةِ الحسينيةِ وقفَ على المشاعرِ الزينبيةِ ، فمن الشواهدِ والمشاهِدِ :

١ – " قالَ عليُّ بنُ الحسينِ سمعتُ أبي في الليلةِ التي قُتِلَ في صبيحتِها يقول وهو يُصْلِحُ سيفَه :

يا دهرُ أُفٍّ لكَ مِنْ خليلِ ... كَمْ لكَ بالإشراقِ والأصيلِ
مِنْ صاحبٍ وطالبٍ قتيلِ ... والدهرُ لا يقنَعُ بالبديلِ
وإنما الأمرُ إلى الجليلِ ... وكلُّ حيٍّ سالكٌ سبيلي

... ففهمتُها وعرفتُ ما أرادَ وخنقتْني العَبرةُ ولَزِمْتُ السكوتَ وعلمتُ أنَّ البلاءَ قد نزل ، وأما عمتي زينبُ لَمَّا سَمِعَتْ ذلكَ وَثَبَتْ تَجُرُّ ذيلَها حتى انتهتْ إليهِ وقالتْ : وا ثُكلاه ، ليتَ الموتَ أعدمني الحياة ، اليومَ ماتتْ أمي فاطمة ، وأبي علي ، وأخي الحسن ، يا خليفةَ الماضين ، وثِمالَ الباقين ، فعَزَّاها الحسينُ وصَبَّرَها وفيما قال : يا أُختاه ، تعَزَّيْ بعزاءِ الله ، واعلمي أنَّ أهلَ الأرضِ يموتون ، وأهلَ السماءِ لا يبقَون ، وكلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَه ، ولي ولكلِّ مسلمٍ برسولِ اللهِ أسوةٌ حسنة .

فقالتْ عليها السلام : أفَتَغْتَصِبُ نفسَكَ اغتصاباً ؟ فذاكَ أقْرَحُ لقلبي وأشدُّ على نفسي " (١)

والحوراءُ هنا تشيرُ إلى جهةٍ مهمةٍ وهي أنَّ أهلَ الكساءِ تمثّلوا كلُّهم في شخصِ الحسينِ عليه السلام فهو آخِرُ مَنْ بَقِيَ منهم ، وقتلُهُ يعني قتلَهم جميعاً ، أو أنَّ قتلَهُ نهايةُ وجودِ أهلِ الكساءِ في هذه الدنيا .

٢- وحينَ صُرِعَ عليٌّ الأكبر :

" قالَ حميدُ بنُ مسلم : لَمّا قُتِلَ عليٌّ الأكبرُ رأيتُ امرأةً خرجتْ مِنَ الفسطاطِ تصيحُ وابْنَ أخاه ، فجاءتْ وانكَبّتْ عليه ، فأخذَ الحسينُ بيدِها ورَدَّها إلى الخيمة ، فسألتُ عنها فقيلَ هذه زينبُ ابْنَةُ فاطمةَ بِنْتِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم " (٢)

وهذا مظهرٌ يجسِّدُ علاقةَ زينبَ لا بعليٍّ الأكبرِ وحدَهُ ، بل بالحسينِ عليه السلام وذلكَ أنَّهُ ذُكِرَ في السيرةِ أنَّ السيدةَ زينبَ كانَ لها في كربلاءَ ولدانِ أو ولدٌ واحد ، ومع ذلك فلَمْ يَرِدْ تأثُّرُها لشهادتِهما ، ولأن الحسينَ أعَزُّ عليها من نفسِها ، فأبناءُ الحسينِ أعَزُّ عليها من أبنائِها .

٣- وحينَ صُرِعَ الحسين :

" نادتْ أُمُّ كلثومٍ زينبُ العقيلةُ : وا محمداه ، وا أبتاه ، وا علياه ، وا جعفراه ، وا حمزتاه ، هذا حسينٌ بالعراء ، صريعٌ بكربلاء ، ليتَ السماءَ أطبَقَتْ على الأرض ، وليتَ الجبالَ تَدَكْدَكَتْ على السَّهْل .

---

١ - مقتل الحسين /٢٦١ .

٢ - مقتل الحسين /٣١٦ .

وانتهتْ نحوَ الحسينِ ، وقد دنا منهُ عمرُ بنُ سعدٍ في جماعةٍ من أصحابه ، والحسينُ يَجودُ بنفسِهِ فصاحتْ : أَيْ عمرُ ، أَيُقْتَلُ أبو عبدِا للهِ وأنتَ تنظُرُ إليه ؟! فصَرَفَ بوجهِهِ عنها ودموعُهُ تسيلُ على لحيتِه ، فقالتْ : ويحكم أما فيكم مسلِم ؟ فلم يُجِبْها أحد " [1]

ورَحِمَ ا للهُ نائحةَ الطفِّ الحاجَ هاشم الكعبي حيثُ يقولُ في رائعتِهِ : [2]

فواحِدَةٌ تحنُو عليهِ تضُمُّهُ ... وأخرى عليهِ بالرداءِ تُظَلِّلُ
وأخرى بفيضِ النحرِ تصبَغُ شعرَها ... وأخرى تُفَدِّيهِ وأخرى تُقَبِّلُ
وأخرى على خوفٍ تلُوذُ بجَنبِهِ ... وأخرى لِمَا قد نالَها ليس تَعْقِلُ
وجاءتْ لشمرٍ زينبُ ابنةُ فاطمٍ ... تُعَنِّفُهُ عن أمرِهِ وتُعَذِّلُ
أيا شِمْرُ لا تَعْجَلْ على ابنِ محمدٍ ... فذو تِرَةٍ في مثلِهِ ليس يَعْجَلُ

٤- وحينَ مرَّتْ مع النسوةِ على الجسمِ المقطعِ السليب :

" صاحتْ زينب : يا محمداه ، هذا حسينٌ بالعراء ، مُرَمَّلٌ بالدماء ، مُقَطَّعُ الأعضاء ، وبناتُكَ سبايا ، وذُرِّيَّتُكَ مُقَتَّلَة ، فأبكتْ كلَّ عدوٍّ وصديق ، حتى جرتْ دموعُ الخيلِ على حوافِرِها .

ثم بسطتْ يديها تحتَ بَدَنِهِ المقدَّسِ ، ورَفَعَتْهُ نحوَ السماءِ وقالت : إلهي تَقَبَّلْ

---

[1] - مقتل الحسين /٣٤٦ .

[2] - أدب الطف ٦/٢٢٤ .

منا هذا القربان " [١]

٥- وفي الكوفةِ حينما رأتْ رأسَ أخيها :

" فنطَحَتْ جبينَها بِمُقَدَّمِ المَحْمَل ، حتى رأينا الدمَ يخرجُ من تحتِ قناعِها ، وأَوْمَتْ إليهِ بحرقةٍ تقول :

يا هلالاً لَمَّا اسْتَتَمَّ كمالا غالَهُ خسفُهُ فأبدى غروبا
ما تَوَهَّمْتُ يا شقيقَ فؤادي كان هذا مُقَدَّراً مكتوبا [٢]

٦- وفي مجلسِ يزيد :

" وقد وَضَعَ رأسَ الحسينِ (ع) بينَ يديهِ وأجلسَ النساءَ خلفَهُ لئلاَّ ينظُرْنَ إليه ، فأمَّا زينبُ (ع) فإنها لَمَّا رأتْهُ أَهْوَتْ إلى جيبِها فَشَقَّتْهُ ثُمَّ نادتْ بصوتٍ حزينٍ يُقَرِّحُ القلوب : يا حسيناه ، يا حبيبَ رسولِ الله ، يابنَ مكةَ ومِنى ، يابنَ فاطمةَ الزهراءِ سيدةِ النساء ، يابنَ بنتِ المصطفى ، فأَبْكَتْ واللهِ كلَّ مَنْ كان في المجلسِ ، ويزيدُ ساكت " [٣]

---

[١] - مقتل الحسين /٣٨٠ . وعَقَّبَ ذلك المؤلفُ -حشرَهُ الله مع أجدادِهِ الطاهرين- بقولِه : وهذا الموقفُ يدلُّنا على تبوُّئها عرشَ الجلالةِ ، وقد أُخِذَ عليها العهدُ والميثاقُ بتلكَ النهضةِ المقدسةِ كأخيها الحسين (ع) وإنْ كانَ التفاوُتُ بينهما محفوظاً ، فلما خرجَ الحسينُ عن العُهْدَةِ بإزهاقِ نفسِهِ القدسية ، نَهَضَتِ (العقيلةُ زينبُ) بما وجبَ عليها ومنهُ تقديمُ الذبيحِ إلى ساحةِ الجلالِ الربوبيِّ والتعريفُ به ، ثُمَّ طَفِقَتْ -سلامُ اللهِ عليها- ببقيةِ الشؤون ، ولا استبعادَ في ذلك بعد وحدةِ النورِ وتَفَرُّدِ العنصر .

[٢] - زينب الكبرى /١١٢، وأورد في البحار ١١٥/٤٥ ستةَ أبياتٍ أُخرى .

[٣] - زينب الكبرى /١١٤ .

ولا شكَّ أنَّ لكلِّ ظرفٍ فعلاً يناسبُه ، فالحوراءُ هناكَ ترفعُ جسدَ حبيبِها وأخيها وإمامِها الحسين ، تقدِّمُهُ قرباناً إلى الله تعالى ، مدلِّلَةً على عمقِ معرفتِها بنهضةِ الحسين وأنها على علمٍ بما ستصنع ، وأما هنا فهي تتفاعلُ مع المشهدِ بعاطفتِها وحزنِها الشديد ، وكلُّ ذلك دلائلُ على أهليتِها للمهمةِ الكبيرةِ التي كان بها حِفْظُ الإسلام .

٧- ولَمَّا وصلتْ إلى مدينةِ جدِّها ومَربَعِها مع الحسينِ وآلِها :

أنشأتْ تقول :

مدينةَ جدِّنا لا تقبلينا ... فبالحَسَراتِ والأحزانِ جينا
خرَجْنا منكِ بالأَهْلِينَ طُرّاً ... رَجَعْنا لا رجالَ ولا بَنِينا

ثم أخذتْ بِعُضَادَتَي بابِ المسجدِ ، وصاحتْ : يا جَدَّاهُ إِني ناعِيَةٌ إليكَ أخيَ الحسين " [1]

المقامات العالية والمثل الأعلى :

وتَبَوَّأَتْ (غَرْسُ الإمامةِ والرسالةِ) عَرْشَ الكمال ، وأَوْجَ الجلال ، تاليَةً في ذلكَ مقامَ الصَّفْوَةِ المُنْتَقَاةِ مِمَّنْ اخْتَصَّهُمْ باريهم بالأَلْطَافِ والإِتْحَاف ، عِلْمَاً وعصمةً ، وقد عَرَضْتُ في كتابي (الحسينُ في موكبِ الخالِدِين) [2] مُقَوِّماتِ شخصيتِها : العِلْم والإيمان والصبر ، وذَكَرْتُ مصادِرَ علمِها ،

---

[1] - مقتل الحسين /٤٧٢ .

[2] - ص٨٨ تحت عنوان (بطلة كربلاء) .

ومظاهِرَ إيمانِها ، وصُوَراً مِنْ صبرِها ، وأُضِيفُ هنا أنَّ مَنْ يَسبرُ تاريخَها ويُوفيهِ حَقَّهُ مِنَ الدراسةِ والتَّأمُّلِ تَتجَلّى لديهِ هذهِ الحقيقة ، ألا وهي أنَّ مَلَكَاتِ سيدتِنا العظيمةِ وتَحَلّيها بها وتَجَلّيها فيها ترتَقِي في ذاتِها عَمَّا ينالُهُ الموهوبونَ والأفذاذُ مِنَ البشر ، فهي فوقَ العبقريات ، وتتميزُ في جوهرِها عن شؤونِهمُ الفكريةِ والعلميةِ والسلوكية ، فهي بالمِنَحِ الإلهيةِ أَلْيَق ، وبالإفاضاتِ الربانيةِ أَلْصَق ، ولعلَّ مِنْ هذا المُنْطَلَقِ تحدَّثَ مَنْ تحدَّثَ مِنْ أَجِلاَّءِ العلماءِ عن (عصمتِها) و(تفضيلِها) ، والعصمةُ جُماعُ كلِّ الفضائلِ والكمالات ، والتفضيلُ تعالي الدرجات ، وانطلَقَ هؤلاءِ إلى هذهِ المقولةِ مُدْرِكِينَ تقسيمَ مَنْ يَليقُ بالعصمةِ إلى قسمين : واجبِ العصمةِ وغيرِ واجبِها ، وأنَّها –سلامُ اللهِ عليها– تَتَصَدَّرُ القائمةَ الثانية .

فَمَنِ العصمةُ لهم واجبةٌ هم الأنبياءُ والأئمةُ عليهم السلام وأما بقيةَ الأولياء فالعصمةُ فيهم غيرُ واجبة ، بل هم محتاجونَ إلى الإمامِ واجبِ العصمة ، كما أنَّ عصمةَ هؤلاءِ الأولياءِ لا تشملُ امتناعَ السهوِ عنهم كما هو الحال في الرسول والأئمة ، بل عصمةُ هؤلاءِ الأولياءِ تعني عدمَ ارتكابِهم للمحرمِ وعدمَ تركِهم للواجبِ مطلقاً وهو ما يعبَّرُ عنه بالعصمةِ العملية ، يضافُ إلى هذا التقسيمِ أنَّ للعصمةِ أيضاً مراتبَ ، وأعلى مراتبِها يتمثَّلُ في النبيِّ الأكرمِ صلى الله عليه وآله والأئمة من آلِه عليهم السلام .

وأعرُضُ بعد هذه المقدمةِ مجموعةً من الآراءِ ثم أذكرُ تعقيباً عليها :

" في (الطراز المُذَهَّب) أنَّ شؤوناتِ زينبَ الباطنية ، ومقاماتِها المعنوية ، كما قيلَ فيها أنَّ فضائِلَها وفواضِلَها وخصالَها وجلالَها وعلمَها وعَمَلَها

وعصمتَها وعِفّتَها ونُورَها وضياءَها وشَرَفَها وبهاءَها تاليةً أُمَّها (ع) ونائبتُها (ع) " [١]

" وقال الفاضلُ العلامةُ الأَجَلُّ المولى محمد حسن القزويني في كتابِهِ المسمَّى بـ (رياض الأحزان وحدائق الأشجان) يُسْتَفَادُ مِنْ آثارِ أهلِ البيتِ جلالةُ شأنِ زينبَ الكبرى بنتِ أميرِ المؤمنين عليه السلام ووقارُها وقرارُها بما لا مزيدَ عليهِ حتى أوصى إليها أخوها عليه السلام ما أوصى قبلَ شهادتِه ، وأنّها مِنْ كمالِ معرفتِها ، ووُفُورِ علمِها وحُسْنِ أعراقِها وطيبِ أخلاقِها ، كانت تُشْبِهُ أُمَّها سيّدةَ النساءِ فاطمةَ الزهراءَ (ع) في جميعِ ذلك وفي الخفارَةِ والحياء ، وأباها في قوةِ القلبِ في الشدةِ والثباتِ عند النائباتِ والصبرِ على المُلِمّاتِ والشجاعةِ الموروثة مِنْ صفاتِها والمَهَابةِ المأثورةِ مِنْ سِمَاتِها ... " [٢]

وقالَ الشيخُ المامقاني –رضوانُ اللهِ عليه– ولو قُلْنَا بعصمتِها لَمْ يكنْ لأحدٍ أنْ يُنْكِرَ ، إنْ كانَ عارفاً بأحوالِها في الطفلِ وما بعدَه ، كيف ولولا ذلك لما حَمَّلَها الحسينُ (ع) مقداراً مِنْ ثِقْلِ الإمامةِ أيامَ مَرَضِ السجادِ (ع) وما أوصى إليها بجملَةٍ مِنْ وصاياه ، ولَمَا أنابَها السجادُ (ع) نيابةً خاصةً في بيانِ الأحكامِ وجملةٍ أخرى مِنْ آثارِ الولاية " [٣]

ثم أَوْرَدَ حديثَ حكيمةَ بنتِ الإمامِ الجوادِ عليه السلام وقد مر .

---

[١] – زينب الكبرى /٢٧ ، و (الطراز المذهب) للشيخ البحاثة عباس قلي المستوفى ، المُتَوَفّى قرب سنة ١٣٤٠هـ .

[٢] – زينب الكبرى /٣٢ .

[٣] – تنقيح المقال ٧٩/٣ .

وقد عَرَضَ لمثلِ هذا الموضوعِ السيدُ المقرمُ في كتابيهِ عَنِ السيدينِ الجليلينِ العباسِ بنِ عليٍّ وعليٍّ بنِ الحسينِ عليهما السلام ومُلَخَّصُهُ ما يلي : قد ثَبَتَ إمكانُ أنْ يخلُقَ اللهُ تعالى ذَوَاتاً مُقَدَّسةً مُنَزَّهَةً عن الأرجاسِ معصومةً عن الخطأ ، وقد يَجِبُ ذلك في الهُداةِ المعصومينَ لكي يَهْدِي بهِمُ الناس ، وأما في غيرِهم مِنَ الأطهارِ فلا يَجِبُ ولكنهُ غيرُ مُمْتَنِع ، فمِنَ الممكنِ أنْ يَمْنَحَ الباري سبحانَهُ أفذاذاً منَ البشرِ فيكونُوا قدوةً لِمَنْ هم دونَهم ، وتكونُ بهِمُ الأسوةُ في عملِ الصالحات ، وإنْ كان في منزلةٍ نازلةٍ عن منزلةِ الأنبياءِ والمعصومين ، فإنهم وإنْ بَلَغُوا بسببِ التفكيرِ والذِّكْرِ المتواصِلِ والتصفِيَةِ والرياضةِ إلى حيثُ لا يُبارِحُونَ طريقَ الطاعةِ ولا يَسْلِكُونَ إلى المعصيةِ طريقاً ، لكنهم في حاجةٍ إلى مَنْ يَسْلِكُ بهِمُ السبيلَ الواضِحَ ويميزُ بهم موارِدَ الطاعةِ وموادَّها ، مِنْ مساقِطِ العصيانِ والتَّهْلُكَة ، بخلافِ الحججِ المُقَيَّضِينَ لإنقاذِ البشرِ المعنيون (*) بالعصمة ... ومَنْ لَمْ تكنْ فيهِ العصمةُ واجبةً وكان محتاجاً إلى غيرِهِ في سلوكِهِ وطاعتِهِ سُمِّيَتْ عصمتُهُ غيرَ امْتِكْفائِية ، على تَفَاوُتٍ في مراتبِها مِنْ حيثُ المعرفةِ والعلمِ واليقين " ثُمَّ نَقَلَ رأيَ شيخِ الطائفةِ وإمامِها الحجةِ الشيخِ محمد طه نجف -قُدِّسَ سِرُّه- في العباسِ عليه السلام " هو أَجَلُّ مِنْ أنْ يُذْكَرَ في المقام ، بل المناسِبُ أنْ يُذْكَرَ عند ذِكْرِ أهلِ البيتِ المعصومين ، عليهِ وعليهم أفضلُ التحيةِ والتسليم ، ثم أَوْرَدَ شعرَ العلامةِ ميرزا محمد علي الأوردبادي ومتابعَتَهُ للرأيِ السابق ، وعَطَفَ على ذلك رأيَ آيةِ اللهِ الحجةِ الشيخ محمد حسين الأصفهاني -

---

* كذا ولعل الأصوب (المعنيين) وإن جاز الرفع على القطع .

رحِمَهُ الله- بأنهُ يُستَفَادُ مِنْ أرجوزتِهِ أنَّ أبا الفضلِ سَمَا إلى أَوْجِ العَظَمَةِ وأَخَذَتْ بـه مَلَكَاتُهُ إلى حظائرِ القُدْسِ وصَعَدَتْ بهِ إلى أعلى مرتبةٍ من العصمة " [1]

وقال في (عليٍّ الأكبر) : وإنَّ الآثارَ كما عَرَفْتَ وإنْ أفادَتْ مشابهةَ أفذاذٍ مِنَ البشرِ لشخصيةِ الرسالةِ لكنَّ (الأكبرَ) هو المَثَلُ الأعلى لتلكَ الذاتِ القُدُسِيَّةِ الكاملةِ المعصومةِ عن كلِّ خطأ ، المُنَزَّهَةِ عن كلِّ عيب ، المُحَلاَّةِ بالجمالِ القُدُسيِّ الإلهي ، فلا يَعْدُوهُ أَنْ يكونَ معصوماً كالذواتِ الطاهرةِ من الأئمةِ المعصومين وإنِ احتاجَ إلى إمامٍ يَرْكُنُ إليه ، وكان هذا الاستنتاجُ مِنْ قولةِ الإمامِ الحسينِ عليه السلام في شأنِ نجلِهِ الأكبر (اللهمَّ اشْهَدْ أَنَّهُ بَرَزَ إليهم أَشْبَهُ الناسِ خَلْقَاً وخُلُقَاً ومَنْطِقَاً برسولِك ، وكنا إذا اشْتَقْنا إلى نبيِّكَ نَظَرْنا إليه) وإلى ما جاءَ في زيارتِهِ المخصوصةِ في أولِ رجبٍ مِنْ قولِ الإمامِ عليه السلام (كما مَنَّ عليكَ مِنْ قَبْلُ وجَعَلَكَ مِنْ أهلِ البيتِ الذينَ أَذْهَبَ الله عنهُمُ الرِّجْسَ وطَهَّرَهم تطهيراً) وإذْهابُ الرِّجْسِ معنى العصمة ، فهي متحققةٌ فيهِ وإنْ لَمْ تكنْ واجبةً كوجوبِها في الإمامِ المُطْلَقِ الحجةِ على الخَلْق . [2]

وقال الشيخُ النقدي : يَظْهَرُ مِنَ الفاضلِ الدربندي وغيرِه :

" إنها كانت تَعْلَمُ عِلْمَ المنايا والبلايا كجُمْلَةٍ مِنْ أصحابِ أميرِ المؤمنينَ (ع) منهم ميثمٌ التمارُ ورشيدٌ الهَجَري وغيرُهما بل جَزَمَ في (أسراره) أنَّها

---

[1] - العباس بن الإمام أمير المؤمنين /١٩٠-١٩٤ .

[2] - علي الأكبر /٥٣-٥٦ .

صلواتُ اللهِ عليها أفضلُ مِنْ مريمَ ابنةِ عمرانَ وآسيةَ بنتِ مُزَاحم وغيرِهما مِنْ فُضْلَيَاتِ النساء "

وذَكَرَ –قُدِّسَ سِرُّه– عند كلامِ السجادِ (ع) لها (ع) : " يا عَمَّةُ أنتِ بحمدِ اللهِ عالِمَةٌ غيرُ مُعَلَّمَة ، وفَهِمَةٌ غيرُ مُفَهَّمَة " أنَّ هذا الكلامَ حجةٌ على أنَّ زينبَ بنتَ أميرِ المؤمنينَ (ع) كانت مُحَدَّثَةً أيْ مُلْهَمَة ، وأنَّ عِلْمَها كانَ مِنَ العلومِ اللَّدُنِّيَّةِ والآثارِ الباطنية . [1]

أقولُ وبا للهِ الاعتصام :

لَمْ يكنْ مِنَ القَصْدِ الخوضُ في هذهِ المسألةِ الدقيقة ، وأخشى زَلَّةَ القَدَم ، أو شَطْحَةَ القَلَم ، وقد مَرَّ مِنَ الرأيِ ما عَلِمت ، وإذا كان لي من كلمةٍ أقولُها فهي :

أولاً : هل يعني إثباتُ العصمةِ (غيرِ الاستكفائية) أرقى مراتبِ العدالةِ أو ما هو فوقَ العدالة ؟ أو يعني الارتفاعَ حتى عن غُرُوضِ الاشتباهِ والغَفْلَةِ والنسيانِ في كافةِ الأحوالِ في الأقوالِ والأعمال ، فهو يحاكي المعصومَ الواجبَ العصمة ؟ وهل تَسْتَلْزِمُ تلكم المدائحُ والمناقِبُ والإشادَةُ بمقاماتِ أولئكَ الأولياءِ بلوغَهم تلكَ الرتبةِ ، هذا ما لا أجزِمُ بهِ ولا أظُنُّهم يلتزمونَ به ، ولعلَّ الرأيَ الوسطَ التعبيرُ بمِثْلِ : (فوقَ العدالةِ ودونَ العصمة) أو (العصمة العملية) .

والحق ... أنَّ شؤونَ عقيلةِ آلِ محمدٍ وما بدا من أمورِها –فكيفَ بأسرارِها– علماً وجميلَ صبرٍ وتسليم ، وقوةَ إيمان ، وفصاحةَ بيان ،

---

[1] – زينب الكبرى /٣٦ .

وبطولاتٍ مما يحيِّرُ الألباب ، ويُبهِرُ العقول ، وأنّها تلحقُ بركبِ المميزينَ ذوي الحباءِ الإلهي ، واللطفِ الرباني ، فهي من ذلكَ الصقعِ الربوبي .

جلال وعناية من الأئمة المعصومين :

" وحدَّثَ يحيى المازني قال : كنتُ في جوارِ أمير المؤمنينَ (ع) في المدينةِ مدةً مديدةً وبالقربِ منَ البيتِ الذي تسكنُهُ زينبُ ابنتُه ، فلا والله ما رأيتُ لها شخصاً ولا سمعتُ لها صوتاً ، وكانت إذا أرادتِ الخروجَ لزيارةِ جدِّها رسولِ اللهِ (ص) تخرُجُ ليلاً والحسنُ عن يمينِها والحسينُ عن شمالِها وأميرُ المؤمنينَ أمامَها ، فإذا قَرُبَتْ من القبرِ الشريفِ سبقَها أميرُ المؤمنين (ع) فأخْمَدَ ضوءَ القناديلِ فسألَهُ الحسنُ مرةً عن ذلك ، فقال : أخشى أنْ يَنْظُرَ أحدٌ إلى شخصِ أختِكَ زينب " [1]

سيدة البيت الهاشمي :

وما غَرُبَتْ شمسُ العاشرِ من محرم ، الدامية ، وما أقبلَ الليلُ الحزينُ إلا والسيدةُ (بطلةُ كربلاء) تتولى أَزِمَّةَ الأمور ، وتُديرُ الشؤون -رغمَ فداحةِ الخطوبِ وجليلِ الأرزاء .

---

[1] - زينب الكبرى /٢٢ .

أقول : وهذا يذكّرُنا بجنايةِ الأمويينَ حينَ ساروا بها وببناتِ محمدٍ وعليٍّ والزهراءِ سبايا من بلدٍ إلى بلدٍ يتصفّحُ وجوههنَّ القريبُ والبعيد ، وبمرأىً ومسمعٍ من الأمةِ الإسلامية.

وهمُّها الأكبرُ حِياطةُ الإمامِ عليِّ بنِ الحسين ، فهو بقيةُ الإمامة ، وهو لِمَا بهِ مِنْ كَرْبٍ وكَمَدٍ وبلاءٍ ومَرَض ، وهناكَ أفلاذُ رسولِ اللهِ أولادُ عليٍّ والزهراء ، وقد هدَّتهُمْ أمُّ الخطوب ، ودَهَمَتْهُمُ الفجائع .

وسَجَى الليلُ والرجالُ ضحايا ... والنساءُ المُخَدَّراتُ ذُهُولُ
واليتامى تَشَرُّدٌ وضَياعٌ ... والثُكالى مدامعٌ وعويلُ
وبقايا مخيمٍ من رمادٍ ... وقيودٌ يَئِنُّ منها عليلُ
وزنودٌ قَسَتْ عليها سِيَاطٌ ... وجسومٌ يُضْرِي بها التمثيلُ [1]

وانبرتْ لبوةُ حيدرٍ لتبدأَ الفصلَ الثاني من نهضةِ أخيها سيدِ الشهداءِ لِتُكْمِلَ بذلك الأهدافَ والغايات .

وقد تَجَلَّتْ من خلالِ تلكمُ الممارسةِ في الظروفِ العصيبةِ المتصلةِ الأحداثِ المتلاحقةِ المِحَنِ صورٌ مشرقةٌ منَ المَلَكاتِ الأصيلةِ لدى عليٍّ وفاطمة ، وقد جسَّدَتْها -بنتُ أُمِّها وأبيها- في عراصِ الطفوفِ وقصرِ الكوفةِ ومجمعِ أهلِها وفي الشامِ وقصرِ الحكمِ والمسجدِ الجامع .

ونَمَّتْ تلكم المشاهدُ والمواقفُ ، والريادةُ لها ، عن أسرارٍ وأسرارٍ تضمُّها خزانةُ الأسرار .

أجل ... إنها محنةُ الأمةِ بآلِ بيتِ نبيِّها ومحنةُ آلِ النبيِّ بالأمة .

---

[1] - من رائعةٍ للشيخ أحمد الوائلي ، (حديث الجراح) الديوان الأول / ٤٣ .

أهكذا يُحْفَظُ رسولُ اللهِ في بضعتِهِ وعترتِهِ وذريتِه ، وما بالُ حظِّ هذهِ الأمةِ قُتِلَتْ أبرارُها ، وبقيتْ أشرارُها ؟! وما بالُ عقلِ هذهِ الأمةِ وقد حَرَمَتْ نفسَها الاستضاءَةَ بأنوارِ الهدى ومصابيحِ الدجى .

وقد أنبأَتْ -عقيلةُ آلِ محمدٍ- في ما أُثِرَ عنها من كَلِمٍ أو صَدَرَ منها من فعلٍ عن مقامٍ شامخٍ تتبَوَّأُهُ في عرشِ الكمالات ، فما أنحسَ طالعَ هذهِ الأمةِ يومَ أَعْرَضَتْ بوجهِها ومالتْ بقلبِها وانصرفتْ عن الفينةِ بظلالِ عرشِ الكمالِ والجلال ، كما حرمَتْ نفسَها بالأمسِ حينما تَخَلَّتْ عن الزهراءِ وتَوَلَّتْ أعداءَها .

الإجلال والخلود :

هنا السرُّ واللغزُ المحيِّر ، وهنا الحقيقةُ الكبرى ، والواقعيةُ الصادقة ، فسِجِلُّ آلِ بيتِ النبوةِ والإمامةِ حافلٌ بالمظلوميةِ من الإقصاءِ والتقتيلِ والاضطهادِ وإخفاءِ الفضائل ، وقد أوغلَ في ذلك الظالمونَ وتجاوزوا المدى .

أجل إنهم أولياءُ اللهِ وأَحِبَّاؤُهُ وأنوارُه ، ويأبى اللهُ إلا أَنْ يُتِمَّ نورَهُ ولو كَرِهَ الكافرون ، وهذه سيدتُنا العقيلةُ وسُراةُ قومِها وقد حَسِبَ الظالمونَ أنهم اجتثُّوا شجرةَ الرسالةِ بعد مجزرةِ كربلاءَ الرهيبة ، وفجائعِ الكوفةِ وفظائعِ الشام ، فإذا المجدُ في أعتابِهم ... وإذا السموُّ في قبابِهم ... وإذا التأريخُ يروي فضائلَهم وينشرُ مدحتَهم ، وإذا الظالمونَ الغالبونَ مغلوبونَ وقد طُمِسَتْ واندَرَسَتْ آثارُهم ونُكِّسَتْ أعلامُهم ، وإنْ ذكرَهم ذاكرٌ فبالخزيِ

وسِمَةِ العارِ والشنار ، وربما تبرَّمَ حتى مِنْ ذِكْرِ مثالِبهم ، فقال : لا تُفْسِدوا مجالسَنا بذِكْرِ وُلْدِ أبي سفيان . [1]

وإذا بالأمةِ تتنافسُ على احتواءِ قبرِها وشريفِ مضجعِها كما تتسابقُ في إعمارِ مشهدِها وإحياءِ ذكرياتِها ، ففي (الراوية) من دمشقِ الشامِ قبرٌ ومقام ، وفي (القاهرةِ) من مصرَ قبرٌ ومقام ، والأمتانِ والحكومتانِ تحتفلانِ رسمياً وشعبياً بهذهِ (الأسيرةِ الملِكة) كما يشاركُ هاتينِ الأمتينِ والحكومتينِ أُمَمٌ وحكوماتٌ أخرى تَفِدُ كالحجيجِ من كلِّ البلادِ من الشرقِ والغربِ إلى مقامِ العقيلة زينب . [*]

---

[1] – الكُنى والألقاب ١/٩٠ .

[*] – وحديثُ مدفنِها الشريفِ ومثواها المطهَّر تناوَلَهُ الباحثونَ كثيراً فبينَ قائلٍ إنهُ في (المدينةِ الطيبة) وهو رأيٌ مهجور ، وقائلٍ إنهُ في (مصرَ) وثالثٍ إنهُ في (الشام) ، وأضعُ بينَ يَدَيِ القاريءِ بعضَ تلكمُ المراجع ، فقد جاءَ في صفحاتِ مجلةِ (العرفان) مناقشاتُ الشيخِ موسى عزِّ الدين في مقالِهِ (كشف الالتباسِ على كثيرٍ من الناس) وردُّ السيد جواد شبر على مقالتِهِ ، ثم تعقيبُ الشيخ موسى على السيد جواد ، مضافاً إلى آراءِ آخرينَ تَجِدُها في (العرفان) في هذهِ الأعدادِ التي وقَفْتُ عليها : ٤٠/٥-٤٩٧ وَ ٤٠/٨-٩٤١ وَ ٤٠/٩-١٠٣١ وَ ٤٠/١٠-١١٩٠ ، وممن استوفى البحثَ وأحاطَ بأطرافِهِ فضيلةُ المتتبع محمد حسنين السابقي في كتابِهِ القيم (مرقدُ العقيلةِ زينب) وانتهى فيهِ إلى اختيارِ قرية (الراوية) مدفناً .

وهذا يضافُ إلى مكانةِ أهلِ البيتِ في القلوب ، فإنهُ بمجردِ احتمالِ وجودِ قبرٍ لزينبَ في بلدٍ نجدُ هذا الانشدادَ إليهِ والتعلقَ به .

ورَحِمَ اللهُ الخطيبَ الشهيرَ السيد جواد شبر حيثُ يقول :

قومٌ لهم في كلِّ أرضٍ مشهَدُ ... لا بل لهم في كلِّ قلبٍ مشهَدُ

أليس من عجائبِ الدهرِ أنْ تدخلَ (عقيلةُ آلِ محمد) إلى الشامِ أسيرةً مسبية ، ودنيا الإسلامِ في قبضةِ يزيدَ وبني أميةَ ، وينالُها وآلَها مِنَ الهوانِ ما لا يعلمُ حدَّهُ إلا الله ، وها هي الآنَ وما طالتْ غيبتُها عنِ الشامِ تعودُ فتطلُعُ شمسُها ويعلو سناها وتملأُ ذكراها الأرجاء ، والحاكمُ الظالمُ والآسِرُ الجائرُ لَمْ يَبْقَ لهُ ولا لسلفِهِ من اسمٍ أو رسمٍ إلا خَرِبَةً سَكَرَ الذبابُ بها فراحَ يُعَرْبِدُ (*) أو حفرةً من النارِ والعار .

---

* استوحى الشاعرُ السوريُّ المعاصرُ الأستاذ (محمد الجذوب) قصيدةً له من زيارتهِ لمرقدِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام في النجفِ الأشرف ، فقال يخاطِبُ معاويةَ بنَ أبي سفيان :

هـذا ضريحُكَ لو بَصُرْتَ ببُؤسِهِ ... لأسالَ مدمعَكَ المصيرُ الأسودُ
كُلٌّ مِنَ التُّرْبِ المَهِينِ بخربةٍ ... سَكَرَ الذبابُ بها فراحَ يُعَرْبِدُ
خَفِيَتْ معالِمُها على زوارِها ... فكأنها في مجهلٍ لا يُقْصَدُ
ومشى بها ركبُ البلا فجدارُها ... عارٍ يكادُ مِنَ الضَّراعةِ يسجُدُ
والقُبَّةُ الشَّمْاءُ نُكِّسَ طرفُها ... فبكلِّ جزءٍ للفناءِ بها يَدُ
أأبا يزيدَ لَتلكَ حكمةُ خالقٍ ... تُجْلَى على قلبِ الحكيمِ فيَرْشُدُ
أرأيتَ عاقبةَ الجموحِ ونَزْوَةٍ ... أودى بلُبِّكَ غَيُّها المُتَرَصِّدُ
تعدو بها ظلماً على مَنْ حُبُّهُ ... دينٌ وبغضتُهُ شقاءٌ سَرْمَدُ
علمِ الهدى وإمامِ كلِّ مُطَهَّرٍ ... ومثابةِ العلمِ الذي لا يَخْمُدُ
وغَلَوْتَ حتى قد جعلتَ زِمامَها ... إرْثاً لكلِّ مُذَمَّمٍ لا يُحْمَدُ
هَتَكَ المحارمَ واستباحَ خُدُورَها ... ومضى بغيرِ هواهُ لا يَتَقَيَّدُ
فكأنما الإسلامُ سلعةُ تاجرٍ ... وكأنَّ أمتَهُ لآلِكَ أعْبُدُ
فاسألْ مرابِضَ كربلاءَ ويثربٍ ... عن تلكم النارِ التي لا تُخْمَدُ

←

←

أَأَبـا يزيـدَ وسـاءَ ذلـك عـزةً ... مـاذا أقـولُ وبـابُ سمعِـكَ مُوْصَـدُ
قمْ وارمُقِ النجـفَ الشـريفَ بنظـرةٍ ... يَرْتَـدُّ طرفُـكَ وهْـوَ بـاكٍ أَرْمَـدُ
تلـكَ العِظـامُ أَعَـزُّ ربُّـكَ قَدْرَهـا ... فتكـادُ لـولا خـوفُ ربِّـكَ تُعْبَـدُ
أبـداً تُبَاكِرُهـا الوُفُـودُ يَحُثُّهـا ... مِـنْ كـلِّ صَـوبٍ شـوقُها المُتَوَقِّـدُ
نازَعْتَهـا (الدنيـا) ففُـزْتَ بوِرْدِهـا ... ثُـمَّ انْطـوَى كـالحُلْمِ ذاكَ المَـوْرِدُ
وسَعَتْ إلى (الأخرى) فأصبحَ ذِكْرُها ... في الخـالدينَ وعَطْـفُ ربِّـكَ أَخْلَـدُ

ديوان السيد الحميري/١٥٢ ، نقلاً عن
(من يسمع للحوماني) / ١٥٩

ونصغي للشيخ عبدالمنعم الفرطوسي ليمتعَنا من رائعتِه :

وهـذهِ زينـبٌ بـالأمسِ تحسـبُها ... في غُوطةِ الشامِ مِنْ أسرى فلسطينِ
فـأينَ قـبرُ يزيـدٍ أَهْـوَ في كَنَـفٍ ... أو زِقٌ صهبـاءَ في الحانـاتِ مكنـونِ

وقال الآخر :

أبـا يزيـدَ ويـا يزيـدُ سـليلُهُ ... قومـا انظُـرا والطـرفُ بـاكٍ أَرْمَـدُ
حَـرَمَ العقيلـةِ زينـبٍ في أرضِكـمْ ... عِظَـةً لكـلِّ حكيـمٍ قـومٍ يَرْشُـدُ

وقالَ العلاّمةُ السيد محمد مهدي الخرسان :

فاضْرِبْ بطرفِكَ أيـن بـاني مجدِهـا ... ثـاوٍ بأيـةِ حفـرةٍ أو زاويـةْ
وانظُـرْ إلى القـبرِ المَشِـيدِ ضريحُـهُ ... سامي الضُّراحِ عَـلاَ بمَثْوَى الزاكيـةْ
ذَيَّـاكَ حُكْـمُ اللهِ يـأبى عَدْلُـهُ ... إلا الإطاحـةَ بـالعروشِ الخاويـةْ
وتكـونُ عُقْبَـى الـدارِ تبقـى دائمـاً ... للمتقـينَ وللعُتـاةِ الهاويـةْ
فأسـيرةُ المـاضي تُحَطِّـمُ هيكـلاً ... ذَرَّ الرمـادَ فمـا لـهُ مِـنْ باقيـةْ
وتُقِيـمُ قِمَّتَـهـا برَغْـمِ أُنوفِهِـمْ ... في أرضِهِـمْ حيثُ القطـوفُ الدانيـةْ

إنهُ انتصارُ الحق ، إنهُ ولاءُ الله ، إنهُ سِرُّ آلِ محمد .

وقد جاءَ عنِ النبيِّ الأعظمِ ﷺ :

" يا أبا الحسنِ إنَّ الله تعالى جعلَ قبرَكَ وقبورَ وُلْدِكَ بقاعاً من بقاعِ الجنة ، وعَرصةً من عرصاتِها ، وإنَّ الله جعلَ قلوبَ نجباءَ من خلقِهِ وصفوةٍ من عبادِهِ تَحِنُّ إليكم وتحتمِلُ الأذى والمَذَلَّة ، فيعمُرُونَ قبورَكم ويُكثِرُونَ في زيارتِها تقرباً منهم إلى اللهِ ومودَّةً منهم لرسولِه ، أولئكَ يا عليُّ المخصوصونَ بشفاعتي الواردونَ حوضي وهم زُوَّاري غداً في الجنة ، يا عليُّ مَنْ عَمَّرَ قبورَكم وتعاهَدَها فكأنما أعانَ سليمانَ بنَ داوودَ على بناءِ بيتِ المَقْدِس ، ومَنْ زارَ قبورَكم عَدَلَ ذلكَ ثوابَ سبعينَ حَجةً بعد حَجةِ الإسلام. [1]

ولعلاَّمةِ بلادِنا -القطيف- الشيخ فرج العمران من قصيدةٍ أَتم سظْمَها في إحدى زياراتِهِ لها وأنشدَها في مُصَلَّى العلاَّمةِ الجليل السيد حسين السيد يوسف مكي العاملي في المشهد الزينبي :

ويكفيكَ مِنْ بينِ النِّسا الطُّهْرُ زينبٌ ... فأَعْظِمْ وأَكْبِرْ في النِّسا الطُّهْرَ زينبا

وخاطَبَتِ الخصمَ الألَدَّ يزيدَها ... بأخشنِ قولٍ بل أَحَزَّ مِنَ الظُّبا

لنا المُلْكُ في الدنيا لنا الحُكْمُ في غدٍ ... سنُصْلِيكَ في يومِ القيامةِ مَبْهَبَا

وعرشُكَ هذا سوفَ أَمْلِكُ دَسْتَهُ ... وتُغْنَى إلى بيتي الحجيجُ تَقَرُّبا

الحسين في موكب الخالدين/٣٢٧ ملخصاً

[1] – مرقد العقيلة زينب /٢٧ عن (فرحة الغري) /٧٧ .

معتكف العبادة ومعبد العواطف :

وشَرَفُ المكانِ بالمَكين ، ولقد بورِكَتِ البقعةُ فعادتْ محرابَ عبادةٍ ، وموطِنَ رجاء ، ومَظَنَّةَ استجابةِ دعاء ، ومُتَعَلَّقاً تَؤُمُّهُ الطَّلِبات ، وتُناخُ بفنائِهِ رحالُ الحاجات ، فمِنْ مُصَلٍّ ومتهجدٍ ومناجٍ وذاكرٍ ومُتَوَسِّلٍ ومُتَشَفِّع ، وكَمْ شَهِدَتْ مِنْ كراماتٍ باهراتٍ تُقْرَنُ بالمعجزات ، فعادتْ مَهْوَى الأفئدةِ تُشَدُّ إليها الركائب ، ويُتَبَرَّكُ بقُربِها وجوارِها في المَدْفَنِ والحياة ويَتَشَرَّفُ بخدمتِها أعلامُ الفقهاءِ وزعماءُ الدين . [1]

---

[1] – ومن ذلك قيامُ سيدِ الأعاظمِ الجدِّ الميرزا محمد حسن الشيرازي (صاحب ثورة التمباك المعروفة) وشيخُ الفقهاءِ المعظم الميرزا علي الكَنِي بكَنْسِ حَرَمِها الشريفِ ونالا بذلكَ الكرامةَ والمَكْرُمة ، وإليك " ما ذَكَرَهُ جماعةٌ من الأعلامِ الحُجَجِ الثقاتِ أنَّ سيدَنا الأجلَّ كانَ زارَ مشهدَ العقيلةِ زينبَ الكبرى –عليها السلام– مع الميرزا علي الكَنِي الطُّهراني وكَنَسَ حَرَمَها الشريفَ بيدِهِ ، وهكذا المرزا –رحمهُ الله– وذاتَ يومٍ كان جالساً في مجلسِهِ إذْ دَخَلَ عليهِ بغتةً رجلٌ من الصالحينَ عليه سيماءُ الأوتاد ، فتَعَجَّبَ السيدُ –رحمه الله– من دخولِهِ ، فتوَجَّهَ الرجلُ إليهِ قائلاً لهُ أنا مأمورٌ من مولايَ وحجةِ اللهِ صاحبِ الأمرِ (عج) أنْ أُقَدِّمَ إليكم وإلى الميرزا علي الكَنِي الشكرَ نيابةً عنهُ (ع) لأنكم كنستُم حَرَمَ عمَّتِنا المُكَرَّمةِ زينبَ الكبرى –سلامُ اللهِ عليها– وأَمَطْتُمُ التراب والقَذَى عنهُ بأيديكم " – مرقد العقيلة زينب /١٨٧ .

كراماتُها :

قال الشيخ النقدي : الكراماتُ المرويةُ عن زينبَ الكبرى بنتِ أمير المؤمنين (ع) والمنقولةُ في الكتبِ العربيةِ والفارسيةِ كثيرةٌ ، ونحن اعتمدنا في كتابنا هذا على أمورٍ حصلَ عندنا القَطْعُ بصحتِها .

ومن كراماتِها الباهرةِ -عليها السلام- ما نقلَهُ العلامةُ النوري (ره) في كتابِهِ (دار السلام) ، قال حدثني السيدُ السند ، والحَبْرُ المعتمَد ، العالمُ العامل ، وقدوةُ أربابِ الفضائل ، والبحرُ الزاخر ، عمدةُ العلماءِ الراسخينَ السيد محمد باقر السلطان آبادي ، نفعَ اللهُ بِهِ الحاضرَ والبادي ، قال : عَرَضَ لي في أيامِ اشتغالي ببروجرد مرضٌ شديدٌ فرجعتُ من بروجرد إلى سلطان آباد ، فاشتدَّ بي المرض بسببِ هذهِ الحركة ، وانصبَّتِ الموادُّ في عينيَ اليسرى فرَمَدَتْ رمداً شديداً واعتراها بياض ، كان الوجعُ يمنعني من النوم ، فأحضرَ والِدِي أطباءَ البلدِ للعلاج ، ولما رأوا حالتي قال أحدُهم يلزمُهُ أنْ يشربَ الدواءَ مدةَ ستةِ أشهر ، وقال الآخر مدةَ أربعينَ يوماً ، فضاقَ صدري وكَثُرَ همي من سماعِ كلماتِهم لكثرةِ ما كنتُ شربتُ من الدواءِ في تلك المدة ، وكان لي أخٌ صالحٌ تقيٌّ أرادَ السفرَ إلى المشاهدِ المعظمةِ وزيارةَ ساداتِ البريةِ ، فقلتُ له أنا أيضاً أصحبُكَ للتشرفِ بتلكَ الأعتابِ الطاهرة ، لَعَلّي أمسحُ عيني بترابِها الذي هو دواءٌ لكلِّ داء ويأتيني ببركاتِها الشفاء ، فقال لي كيف تطيقُ الحركةَ مع هذا المرضِ العُضال ، وهذا الوجعِ القتّال ، ولما بلغَ الأطباءَ عزمي على السفرِ قالوا بلسانٍ واحدٍ إنَّ بصرَهُ يذهبُ في أولِ منزلٍ أو ثاني منزل ، فتحرك أخي وأنا جئتُ إلى بيتِهِ بعنوانِ مشايعتِهِ في الظاهر ، وكان هناك رجلٌ من الأخيارِ سمعَ قصتي فحَرَّضَني على الزيارةِ وقال لي لا يوجَدُ لك شفاءٌ إلا لدى خلفاءِ اللهِ وحججِهِ ، فإني كنتُ مبتَلَى بوجعٍ في القلبِ مدةَ تسعِ سنين ، وكلَّتِ الأطباءُ عن تدوايهِ فزرتُ أبا عبدِا للهِ الحسينَ (ع) فشفاني بحمدِ اللهِ من غيرِ تعبٍ ومشقة ... وامضِ إلى الزيارةِ متوكّلاً على اللهِ تعالى ، فعزمتُ من وقتي على السفر ، فلما كنا في المنزلِ الثاني من سفرِنا اشتدَّ بي المرضُ ليلاً ولم أستقرَّ من وجعِ العين ، فأخذَ مَنْ كان يمنعُني من السفرِ يلومُني ، واتفقَ أصحابي كلُّهم على أنْ أعودَ إلى بلدي الذي جئتُ منه ، فلما كان وقتُ السَّحَرِ وسَكَنَ الوجعُ قليلاً رقدتُ فرأيتُ الصديقةَ الصغرى زينبَ بنتَ إمامِ الأتقياء -عليها آلافُ التحيةِ والثناء- فدَخَلَتْ عليَّ وأخَذَتْ بطَرَفِ مقنعةٍ كانتْ على رأسِها وأدخلَتْهُ في عيني ومَسَحَتْ عيني بهِ فانتبهتُ

من منامي وأنا لَمْ أجدْ للوجعِ أثراً في عيني فلما أصبحَ الصباحُ قلتُ لأصحابي إني لم أجدْ اليومَ ألماً في عيني فلا تمنعوني من السفر ، فما تَيَقَّنوا مني ، فحلفتُ لهم ، وسِرْنا فلما أخذنا في السيرِ رفعتُ المنديلَ الذي كان على عيني المريضةِ ونظرتُ إلى البيداءِ وإلى الجبالِ فلم أرَ فرقاً بين عيني اليمنى الصحيحة واليسرى المريضة ، فناديتُ أحَدَ الرفقاءِ وقلتُ لهُ تقرَّبْ مني وانظرْ في عيني فنَظَرَ وقالَ سبحانَ اللهِ لا أرى في عينِكَ رَمَداً ولا بياضاً ولا أثراً من المرضِ ولا فرقَ بينَ عينِكَ اليمنى واليسرى ، فوقفتُ وناديتُ الزائرينَ جميعاً وقَصَصْتُ لهم رؤيايَ وكرامةَ الصديقةِ الصغرى زينب –سلامُ اللهِ عليها– ففَرِحَ الجميعُ وأرسلتُ البشائرَ إلى والدي فاطمأنَّ خاطرُهُ بذلك .

قال (العلامة النوري) وحدثني بتلك الكرامةِ شيخُنا الجليلُ النبيل ، والعالمُ الذي عُدِمَ لهُ النظيرُ والبديل المولى فتح علي السلطان آبادي قال إنهُ شاهَدَ هذه الحكايةَ بنفسِه .

زينب الكبرى /٦٧ .

وقال الشيخ السابقي :

وجدتُ بخطِّ العلامةِ المتتبعِ المغفور له السيد عبدالرزاق المقرم النجفي –رحمه الله– : تَواتَرَ الخبرُ عند أهلِ الشامِ أنَّ الفقيهَ الحنفيَّ الكبيرَ وعالمَ دمشق في عصرِهِ الشيخ عبدالغني النابلسي المتوفى ١١٤٣هـ زارَ مرقدَ العقيلةِ زينبَ (ع) (بزاويَة) فلما سألوهُ عن ذلكَ قال لا أشُمُّ رائحةَ النبوة ، فلما انصرَفَ وسارَ نحوَ مائتي خطوةٍ سقَطَ من دابتِهِ وانكسرتْ رجلُهُ فأمرَ بإرجاعِهِ إلى المشهدِ وأنشأ يقول :

زينبٌ بنتُ حيدرٍ ... معدنُ العلمِ والهُدى
عندها بابُ حِطَّةٍ ... فادخلوا البابَ سُجَّدا

فالتأمَ الكسرُ مِنْ وقتِه ... . مرقدُ العقيلة /٢١٧ .

ثُمَّ أوردَ قصةً عجيبةً تَمَّ فيها شفاءُ ابنِ السيدِ محمد علي حبيب –أحدِ وجهاءِ كراتشي– ببركةِ توسُّلِهِ بالسيدةِ الجليلة ، وأن الشفاءَ قد تَمَّ لولدِهِ الوحيدِ المشلولِ ليلةَ التوسُّل ،

إنهُ صنعُ الله ... ﴿في بيوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ ويُذْكَرَ فيها اسْمُهُ يُسَبِّحُ لهُ فيها بالغُدُوِّ والآصالِ رجالٌ لا تُلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عنْ ذِكْرِ اللهِ وإقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ يخافُونَ يوماً تَتَقَلَّبُ فيهِ القلوبُ والأبصارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أحسنَ ما عَمِلُوا ويَزيدَهم مِنْ فضلِهِ واللهُ يَرزُقُ مَنْ يشاءُ بغيرِ حساب﴾ (النور ٣٦-٣٨)

وأرْدَفَ ذلك بكرامةٍ أخرى جَرَتْ لِـ (فوزية بنت سليم زيدان) من لبنان وقد حكاها عن الخطيبِ الشهيرِ السيد جواد شبر عن الشيخ إبراهيم سليمان قاضي الجعفريةِ في الكويت .

أقول : وقد جاءَ في مجلة (العرفان) ٤٠/٨/ص وَ ٤٠/٩/ص١٠٣١ مقالانِ -والأول منهما مصور- للأستاذ محمد يوسف مقلد عن الاحتفالِ بتحليةِ ضريحِ السيدة زينب - عليها السلام- بالقفصِ الفضي الذي تَبَرَّعَ بِهِ (السيد محمد علي حبيب) عند شفاءِ ولدِه ، وكان ذلك سنة ١٣٧٠هـ ، ووزنُ القفصِ الثمين (١٢) طناً ، وقد تحدثتْ عن ذلك جرائدُ الشامِ كما ذكرتْ ذلك أيضاً مجلةُ (الغري) النجفية كما جاء في كتاب (مرقد العقيلة زينب) .

هذا وقد أورَدَ الشيخ فرج العمران في كتابِهِ (الأزهار الأرجية في الآثارِ الفرجية) ٥٩/٧ وَ ج٢٠٢/١٢ جملةً من كراماتِها ، سلامُ اللهِ عليها .

وأنبهُ الأخواتِ المؤمناتِ إلى أننا لسنا بحاجةٍ إلى التصديقِ ببعضِ الإشاعاتِ عن كراماتٍ لم تقع ، أو ما يتناقلُهُ البعضُ من أوراقٍ فيها بعضُ الأقاويلِ من كراماتٍ لم تثبتْ فيُطلَبُ مِنْ قارئِها أن يكتبَها وينشرَها ، لسنا بحاجةٍ إلى ذلك ، فقد ثبتَ بنقلِ أعلامِ الأمةِ ومراجعِها كراماتٌ كثيرةٌ من بركاتِ محمدٍ وآلِ محمد .

حديث الأجيال :

وما انْفَكَّ فَمُ الدهرِ ولسانُ البيانِ لَهِجاً بالمدحِ والإطراءِ والإكبارِ شعراً ونثراً ، فقد خَشَعَتِ الأفكارُ وخَضَعَتِ الأقلامُ وطابتِ الأفواهُ بحديثِ الشرف ، وروايةِ جلائلِ الأعمالِ والأقوال ، وخُلِّدَتْ روائعُ المواقفِ والبطولاتِ في مواطِنِ الإباءِ والتضحيةِ والفِداء ، فعشراتُ المؤلَّفاتِ الخاصةِ ، وكتبُ السيرةِ والتاريخِ والروايةِ حافلةٌ بالمُشْرِقِ الوَضَّاء ، وآلافُ الشعراءِ أُلْهِمُوا فنَظَموا غُرَرَ الشعرِ من زاخرِ ذلكمُ العطاء .

وقد اقترَنَتْ بالخلودِ مع أخيها سيدِ الخالِدِين ، سيدِ الشهداء ، وكفى بهذا الاقترانِ سُمُوّاً وشَرَفاً .

وَلَّيْتُ وجهي شَطْرَ قِبْلَةِ الوَرَى ... ومَنْ بها تَشَرَّفَتْ أُمُّ القُرَى
رضيعةِ الوَحْيِ شقيقةِ الهُدَى ... ربيبةِ الفضلِ حليفةِ النَّدَى
مليكةِ الدنيا عقيلةِ النِّسا ... عديلةِ الخامسِ مِنْ أهلِ الكِسا
شريكةِ الشهيدِ في مصائبهْ ... كفيلةِ السجادِ في نوائبهْ
بل هيَ ناموسُ رُوَاقِ العَظَمَهْ ... سيدةُ العقائلِ المُعَظَّمَهْ
ما وَرِثَتْهُ مِنْ نبيِّ الرحمةِ ... جوامعُ العلمِ أصولُ الحكمةِ
سرُّ أبيها في عُلُوِّ الهِمَّةِ ... والصبرِ في الشدائدِ المُلِمَّةِ [1]

---

[1] – الأنوارُ القدسية /٧٣ لفيلسوفِ الفقهاءِ وفقيهِ الفلاسفةِ الشيخ محمد حسين الأصفهاني أستاذ سيدنا الخوئي رضوانُ الله تعالى عليهما .

وقد خَصَّتْ مجلةُ (الموسم) بعضَ أعدادِها الكبار ، فجَمَعَتْ شيئاً مما تَشَرَّفَتْ بهِ قرائحُ الشعراء .

عروج روحها :

وفي منتصفِ رجبٍ سنة ٦٥هـ عَرَجَتْ روحُها المبارَكَةُ إلى باريها بعد حياةٍ حافلةٍ بما يُحَيِّرُ الألبابَ مِنْ جهاتِ العظمةِ والكمال ، وبعد حياةٍ مِلْؤُها البلاءُ والمصائبُ بما يعجَزُ عنهُ الوصفُ ويَكِلُّ فيهِ التصوير ، ويَعْيا عنهُ التعبير .

فالصلاةُ على سليلةِ النبوةِ والإمامة ، وسلامٌ عليها في الخالداتِ والخالِدين .

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الزهراء عليها السلام

الدرس الثالث ١٤١٧/١١/١٦هـ

شرح خطبتي السيدة زينب

عناصر الدرس :

مواقِفُ بطولية :

كتابُ عائشةَ إلى حفصةَ (يومَ الجملِ) وموقِفُ البَطَلَة .

معَ عمرَ بنِ سعد – مع ابنِ زياد – مع يزيدَ بنِ معاوية .

الدفاعُ عن الإمام .

خطبةُ السيدةِ زينبَ في الكوفة .

ظروفُ الخطبة – الملابسات .

استهلالٌ ... وبراعة .

مواقف بطولية :

كتابُ عائشةَ إلى حفصةَ (يومَ الجملِ) وموقِفُ البَطَلَة :

قالَ الشيخُ المفيدُ –رضوانُ اللهِ عليه– ولَمَّا بَلَغَ عائشةَ نزولُ أميرِ المؤمنينَ (ع) بذِي قارٍ ، كتبتْ إلى حفصةَ بنتِ عمر :

أَمَّا بعدُ فلما نَزَلْنا البصرةَ ونَزَلَ عليٌّ بذِي قار ، والله دَاقٌّ عُنُقَهُ كدَقِّ البيضةِ على الصفاةِ ، إنَّهُ بمنزلةِ الأَشْقَر ، إنْ تَقَدَّمَ نُحِر ، وإنْ تَأَخَّرَ عُقِر .

فلَمَّا وصلَ الكتابُ إلى حفصةَ استبشرَتْ بذلكَ ودَعَتْ صِبيانَ بني تَيْمٍ وعَدِي ، وأَعْطَتْ جواريها دُفُوفاً وأَمَرَتْهُنَّ أَنْ يَضْرِبْنَ بالدفوفِ ويَقُلْنَ : ما الخبر ، عَلِيٌّ كالأَشْقَر ، بذِي قار ، إنْ تَقَدَّمَ نُحِر ، وإنْ تَأَخَّرَ عُقِر .

فلَمَّا بلغَ أُمَّ سلمةَ (رض) اجتماعُ النسوةِ على ما اجْتَمَعْنَ عليهِ مِنْ سبِّ أميرِ المؤمنينَ والمَسَرَّةِ بالكتابِ الواردِ عليهِنَّ مِنْ عائِشَةَ بَكَتْ وقالتْ : أَعطُوني ثيابي حتى أَخْرُجَ إليهِنَّ وأُوْقِعَ بهن ، فقالتْ أُمُّ كلثومٍ بنتُ أميرِ المؤمنينَ (ع) : أنا أَنُوبُ عنكِ فإنني أَعْرَفُ منك ، فلَبِسَتْ ثيابَها وتَنَكَّرَتْ وتَخَفَّرَتْ واسْتَصْحَبَتْ جواريها مُتَخَفِّرَاتٍ وجاءَتْ حتى دَخَلَتْ عليهِنَّ كأَنها مِنَ النَّضَّارَة ، فلما رَأَتْ ما هُنَّ فيهِ مِنَ العَبَثِ والسَّفَهِ كَشَفَتْ نِقَابَها وأَبْرَزَتْ لهنَّ وجهَها ثُمَّ قالتْ لحفصة : إنْ تَظَاهَرْتِ أنتِ وأُخْتُكِ على أميرِ المؤمنينَ (ع) فقد تَظَاهَرْتُمَا على أخيهِ رسولِ اللهِ (ص) مِنْ قَبْلُ فأَنْزَلَ اللهُ ﷻ ما أَنْزَلَ ، والله مِنْ وراءِ حربِكُما .

وأَظْهَرَتْ حفصةُ خَجَلاً وقالتْ: إنهنَّ فَعَلْنَ هذا بجهلٍ وفَرَّقْتُهُنَّ في الحال.[١]

مع عمرَ بنِ سعد :

قالتْ له وقد دَنَا مِنَ الحسينِ عليه السلام وهو يجودُ بنَفْسِه : أَيْ عمرُ أَيُقْتَلُ أبو عبدِ اللهِ وأنتَ تنظُرُ إليه ؟ فدَمَعَتْ عيناهُ حتى سالَتْ دموعُهُ على خَدَّيْهِ ولحيتِهِ وصَرَفَ وجهَهُ عنها .[٢]

معَ ابنِ زياد :

قالَ الشيخُ المفيدُ -رَحِمَهُ الله- وأُدْخِلَ عِيَالُ الحسينِ عليه السلام على ابنِ زيادٍ فدَخَلَتْ زينبُ أختُ الحسينِ في جملتِهم متنكرةً وعليها أَرْذَلُ ثيابِها فمَضَتْ حتى جَلَسَتْ ناحيةً مِنَ القصرِ وحَفَّتْ بها إماؤُها ، فقالَ ابنُ زياد : مَنْ هذهِ التي انحازَتْ ناحيةً ومعها نساؤُها ؟ فلَمْ تُجِبْهُ زينب ، فأَعَادَ ثانيةً وثالثةً يَسْأَلُ عنها ، فقالَ بعضُ إمائِها : هذه زينبُ بِنْتُ فاطمةَ بِنْتِ رسولِ الله ، فأَقْبَلَ عليها ابنُ زيادٍ وقالَ لها : الحمدُ للهِ الذي فضَحَكم وقَتَلَكم وأَكْذَبَ أُحْدُوثَتَكم .

---

[١] - الجمل /١٤٩ ، وأوردَ محققُ الكتابِ في طبعتِهِ الجديدةِ عِدَّةَ مصادرَ لذلك ، هذا وثَمَّتَ اختلافٌ يسيرٌ في المنقولِ كما هو كذلك فيما نَقَلَهُ ابنُ أبي الحديدِ في شرحِهِ نهجَ البلاغة ١٣/١٤ كما أنَّ المَعْنِي بِـ (أُمِّ كُلْثوم) هنا وحيثُ أُطْلِقَتْ هذه الكُنْيَةُ إنما هي (زينبُ) كما نَصَّ على ذلك الشيخُ جعفرُ النَّقْدِي في كتابِهِ (زينبُ الكبرى) .

[٢] - الكامل ٢٩٥/٣ ، والطبري ٤٥٢/٥ .

فقالتْ زينب : الحمدُ للهِ الذي أكْرَمَنا بنبيهِ محمدٍ ﷺ وطَهَّرَنا مِنَ الرِّجْسِ تطهيراً ، وإنما يُفتَضَحُ الفاسِقُ ويَكْذِبُ الفاجرُ وهو غيرُنا والحمدُ لله .

فقال ابنُ زياد : كيف رأيتِ فِعْلَ اللهِ بأهلِ بيتِك ؟ قالت : كَتَبَ اللهُ عليهمُ القَتْلَ فبَرَزُوا إلى مضاجِعِهم ، وسيَجْمَعُ اللهُ بينَكَ وبينَهم فتُحَاجُّونَ إليهِ وتَخْتَصِمُونَ عندَه .

[وفي رواية [1] : ما رأيتُ إلا جميلاً هؤلاء قومٌ كَتَبَ اللهُ عليهمُ القَتْلَ فبَرَزُوا إلى مضاجِعِهم ، وسيَجْمَعُ اللهُ بينَكَ وبينَهم فتُحَاجُّ وتَخَاصَم ، فانْظُرْ لِمَنِ الفَلْجُ [2] يومئذٍ ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يا بنَ مَرْجَانة] .

فغَضِبَ ابنُ زيادٍ واسْتَشاطَ ، فقالَ عمرُو بنُ حُرَيث : أيها الأميرُ إنها امرأةٌ والمَرْأةُ لا تُؤَاخَذُ بشيءٍ مِنْ مَنْطِقِها ولا تُذَمُّ على خِطابِها ، فقالَ لها ابنُ زياد : لقد شَفَى اللهُ نَفْسِي مِنْ طاغِيَتِكَ والعُصَاةِ مِنْ أهلِ بيتِك ، فزَقَتْ زينبُ عليها السلام وبَكَتْ وقالتْ له : لَعَمْرِي لقد قَتَلْتَ كَهْلِي وأَبَدْتَ أهلي وقَطَعْتَ فَرْعي واجْتَثَثْتَ أَصْلي فإنْ يَشْفِكَ هذا فقد اشْتَفَيت ، فقالَ ابنُ زياد : هذهِ سَجَاعَةٌ ، ولَعَمْرِي لقد كانَ أبوها سَجَّاعاً شاعِراً ، فقالتْ : ما لِلْمَرْأَةِ ولِلسَّجَاعَة ؟ إنَّ لي عَنِ السَّجَاعةِ لَشُغْلاً ولكنَّ صدري نَفَثَ بما قلت . [3]

---

[1] – السيد ابن طاووس في (اللهوف) ١٤٢–١٤٣ .

[2] – الفَلْجُ : الفوزُ والظَّفَر .

[3] – الإرشاد ٢/١١٥–١١٦ . وزَقَتْ : صاحت ، وفي نسخةٍ (فرَقَتْ) .

إنهُ الكبرياءُ على الجبابرَةِ والعُتَاةِ المَرَدَة ، وإنهُ الاحتقارُ لسلطانِ الجورِ والطاغوت ، إنهُ الصَّمْتُ المُخرِسُ للسَّلِيطِ الصَّلِف ، إنهُ الإعراضُ الذي ذَهَبَ بنشوةِ النصرِ والغَلَبة ، إنهُ الموقفُ الدامغُ لإناءِ الأميرِ فَنَضَحَ بالمُرُوقِ والدَّنَاءَةِ والشماتة ، يُقَرِّعُهُ جوابُ بعضِ إماءِ السيدةِ بأنَّ مولاتَها زينبُ بنتُ فاطمةَ بنتِ رسولِ الله ، فيرى أنَّ النعمةَ ومُنْيَةَ النفسِ وحُلْمَ الحياةِ بالفضيحة ، وأيُّ فضيحةٍ يعني هذا الأحمق ؟! وما هي الأُحْدُوثَةُ الكاذِبة ؟! هل هي دينُ الإسلامِ الذي صَدَعَ بهِ جَدُّ الحسين ، وانحَدَرَ فيهِ أسلافُ ابنِ زيادٍ بسيفِ عليٍّ أبِ الحسين ، أمْ هي الفضائلُ الإنسانيةُ المتجسِّدَةُ في آلِ محمدٍ ، المُضَادَّةُ لرذائِلِ الجاهليةِ وآثارِها القائمةِ في ابنِ زيادٍ ومَنْ لُفَّ بحبلِهم .

ولعلَّ في جوابِ السيدةِ العظيمةِ ما يُوَضِّحُ الغَرَضَ ويَكْشِفُ الغاية : نعم ، الحمدُ للهِ على نِعَمِه ، والنعمةُ الكبرى الإسلام ، وقد أُكْرِمْنَا بنبيِّهِ محمدٍ ﷺ فرسولُ الإسلامِ جَدُّنا ونحن عترتُهُ وآلُهُ وثِقْلُهُ وأهلُ بيتِهِ ، الذي نَطَقَ في رِفْعَةِ شأنِنا قرآنُ ربِّهِ فأنْبَأَ عنا بأنَّ ربَّنا طَهَّرَنا مِنْ رِجْسِ الكُفْرِ والمعصية ، ونَزَّهَنا عن دناءَةِ الأصلابِ والأرحامِ فأتَمَّ علينا نِعَمَهُ وأكْمَلَ تطهيرَه .

والفضيحةُ إنما تَلْحَقُ أهلَها وتَنْحَدِرُ إلى من يَنْحَدِرُ إليها ، وإنما يَتَعَرَّى زَيْفُ الفاسقِ فيُفْتَضَح ، حيثُ يَسْمُلُ منهُ الجلبابُ ويبدو للعَيَانِ كما هو ، ورذيلةُ الكَذِبِ تَنْبَعِثُ من طباعِ الفَجَرَةِ فلا تَعْرِفُ حقاً ولا تنطِقُ صِدْقاً .

وتِلْكُمُ الخِلالُ ورذائِلُ الأقوالِ والأعمالِ مَرْتَعُها الخَصْبُ ومَرْعَاها الوبيلُ ، هو غيرُ آلِ محمدٍ الطاهِرين المطهَّرين ، وهذهِ النعمةُ التي تُحْمَد ، وأمَّا أنتَ

فعلى أيِّ نعمةٍ حَمِدْت ؟ فهل فيما حَمِدْتَ عليه موطـنٌ لحمـدٍ ونعمـة ! أَمْ هو موطنُ البلاءِ والنِّقْمَة !

أجلْ إنها شماتةُ العدوِّ الدَّنِيء حيثُ يزهُو بقتلِ عترةِ النبيِّ وريحانتِهِ مِنَ الدنيـا ، وإنهُ المُرُوقُ حيثُ يَنْسِبُ غَلَبَـةَ البـاطِلِ على الحقِّ مِـنْ فِعْـلِ اللهِ وصُنْعِـهِ الذي يَحْمِـدُ اللهَ عليـه ، وأَمَّـا حَمْلُـهُ لـواءَ الكفـرِ وتفانِيـهِ في قيـادةِ طِغـامِ الضـلالِ فلا تَبِعَةَ عليهِ وإنما هو فِعْـلُ اللهِ ، إنهـا جَبْرِيَّـةُ الضـلالِ والمُـرُوق ، ذلكَ الجبرُ الذي كانَ للأمويين الدورُ البارزُ فيه لتبريرِ حكمِهـم وجرائِمِهـم وأنهم مجبورونَ عليها ، وحكمهم جبرٌ على الناس .

سبحانَ الله ... كيف أَنْتَجَ إعراضُ العقيلةِ بوَجْهِها الكريمِ عن الوَغْدِ اللئيمِ إفرازَ هذا الحقدِ الدفينِ والعداوة ، وإبرازَ نمطِ التفكيرِ لدى الأميرِ الأَرْعَـنِ على البلادِ والعباد .

والله أكبر ... فلَمْ يكنْ فعلُ اللهِ بأهلِ بيتي كما تَزْعُم ، وإنما الصُّنْعَ الحسنَ الجميل ، وإنما هم الشهداءُ الذين كَتَـبَ اللهُ عليهِـمْ ولهـمُ الشـهادةَ نُصْـرَةً لدينِه ، وصيانةً لِوَحْيِه ، وحِياطـةً لحقّـه ، وكَشْـفاً لِزَيـفِ المُبْطِلـين ، وجَـوْرِ الظالمين ، فاستَوْفَوا آجالَهم –ولكلٍّ أجلٍ كتاب– ومِـنْ طريـقِ الشـهادةِ في سبيلِ اللهِ سيَصِلُونَ إلى القيامة ، وأنتَ مِنْ طريـقِ حَرْبِـكَ ونَصْـرِكَ الزائـفِ ستَصِلُ إلى القيامة ، وفي ساحةِ العَدْلِ الإلهي –وعنـدَ اللهِ تجتمـعُ الخصـومُ– فيُعْقَدُ القضاءُ فتُجَادِلُ كُلُّ نَفْسٍ عن نَفْسِها .

ولْتَكُنْ يابنَ زيادٍ على عِلْمِ اليقين ، لَتَرَيَّنَ الجحيم ، ثُمَّ لَتَرَيَنَّها عينَ اليقين ، ثم لَتُسْأَلُنَّ يومئذٍ عنِ النعيم ، فالحسينُ القتيلُ سيدُ شبابِ أهلِ الجنة ، وابنُ سيدةِ نساءِ الجنة وأنتَ -ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ- ابنُ مَرْجَانة .

" إنَّ ابنَ زيادٍ وهو مَنْ تَعْرِفُ في الجرأةِ على الله وانتهاكِ حُرُماتِهِ لَمَّا فَضَحَتْهُ الحوراءُ زينبُ عليها السلام وأَفْلَجَتْهُ وصَيَّرَتْهُ أحقرَ مِنْ نملةٍ وأَقْذَرَ مِنْ قملةٍ وقالتْ له : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يابنَ مرجانةَ فاستَشَاطَ غضباً مِنْ ذكرِ أُمِّهِ التي يَعْرِفُ أنَّها مِنْ ذَوَاتِ الأعلام " [1]

ولَمْ تُبْقِ الكلماتُ الجارحةُ الفاضحةُ بَقِيَّةً مِنْ فِكْرٍ ، أَوْ قَدْرَاً مِنْ توازن ، فإذا بهِ يغدُو ويبدو كما هو في ذاتِهِ سَبُعاً ضارِيَاً ووحشاً كاسِراً ، يُهَدِّيءُ مِنْ غَلْوائِهِ وهيجانِهِ قرينٌ لهُ مِنْ رؤوسِ الخوارج ، فيا لَها مِنْ تعريةٍ كَشَفَتِ السَّوْأَةَ ، وبَدَّدَتِ الزَّيْفَ ، وأَبَانَتْ للمَلأِ وعلى رؤوسِ الأشهادِ واقعَ الأميرِ الدَّعِي .

ويا لِجلالِ الحقِّ وهو يسحَقُ كبرياءَ الانتصار ، ويُذْهِبُ بزَهْوِ الغَلَبَة ، ويا لِمَضَاءِ الصدقِ يسمو بهِ المظلومُ المغلوب ، فيَقْلِبُ النصرَ هزيمةً بل وأَشَدَّ هزيمةٍ وأَنْكَرَها .

و للهِ أنتِ يا بُنَةَ عليٍّ وفاطمة ، في فِعْلِكِ المُخِيرِ وقولِكِ المُفْحِم .

وبعدُ فلا قيمةَ لمقولةِ عمرٍو الخارجي ... إنها امرأة ، فلا مَقِيلَ لهُ في ظلِّ الحقيقةِ -وإنْ صَرَفَ بها صاحبَهُ عَمَّا هَمَّ بهِ ونوى- فالعقيلةُ سيدةُ موقفٍ

---

[1] - جنة المأوى /٨١ .

وذواتُ الأعلام سماءٌ في الجاهليةِ مشهوراتٌ معروفاتٌ بالفحشاء .

وبطلةُ مَبدأ ، ولا يَسَعُ ابنَ زيادٍ التَّجَرُّدُ عن طبعِهِ وسيرتِهِ وسريرته ، فالوحشُ كاسر ، والعدوُّ الدنيءُ شِيْمَتُهُ الشماتة ، فليس لديهِ إلا واقعُهُ مجسَّداً في تكرارِهِ معزوفةَ الحقارةِ والهوانِ (لقد شَفَى اللهُ نفسي) ونفسُهُ عُقْدَتُه (مِنْ طاغِيَتِكِ) وهو عدوُّهُ فِكْراً وهَدْياً ، (والعُصَاةِ) وهي تَضَادُّ الأبرارِ والفجار ، والحقِّ والباطل ، والسعداءِ والأشقياء .

نعم إنهُ يُنْكِيءُ القُرْحَ ويَنْثِرُ الملحَ على الجُرْحِ كلما ذَكَرَ شقيقَها وسُرَاةَ قومِها واستئصالَ أصلِها بقتلِ سبعةَ عشرَ مِمَّنْ تَفَرَّعَ من شجرةِ النبوةِ ليس لهم في الأرضِ مُشْبِهون ، وليس في جُعْبَةِ ابنِ زيادٍ غيرُ التَّشَفِّي فقد ضاقَ إناؤُهُ وقَلَّ حَيَاؤُه .

مع يزيدَ بنِ معاوية :

من حديثِ فاطمةَ بنتِ الحسينِ في مجلسِ يزيد :

قال الشيخُ المفيد –رضي اللهُ عنه– " فقامَ إليهِ رجلٌ من أهلِ الشامِ أحمرُ فقال : يا أميرَ المؤمنينَ هَبْ لي هذهِ الجارية –يعنيني– وكنتُ جاريةً وضيئةً فأَرْعَدْتُ وظَنَنْتُ أنَّ ذلك جائزٌ لهم ، فأَخَذْتُ بثيابِ عمتي زينب ، وكانتْ تعلَمُ أنَّ ذلكَ لا يكون ، فقالتْ عمتي للشامي : كَذِبْتَ واللهِ ولَؤُمْتَ ، واللهِ ما ذلك لكَ ولا له ، فغَضِبَ يزيدُ وقال : كَذِبْتِ إنَّ ذلك لي ولو شِئْتُ أنْ أَفْعَلَ لَفَعَلْت ، قالتْ : كلاَّ واللهِ ما جَعَلَ اللهُ لكَ ذلك إلاَّ أنْ تَخْرُجَ مِنْ مِلَّتِنا وتُدِينَ بغيرِها ، فاستطارَ يزيدُ غَضَباً وقال : إيَّايَ تَسْتَقْبِلِينَ بهذا ؟! إنما خَرَجَ مِنَ الدينِ أبوكِ وأخوك ، قالتْ زينب : بدِينِ اللهِ ودينِ

أبي ودينِ أخي اهتديتَ أنتَ وجدُّكَ وأبوكَ إنْ كنتَ مسلماً ، قال : كَذِبْتِ يا عَدُوَّةَ الله ، قالتْ لهُ : أنتَ أميرٌ تَشْتِمُ ظالماً وتقهَرُ بسُلْطانِك ، فكأنهُ استَحْيَا وسَكَت ، فعادَ الشاميُّ فقال : هَبْ لي هذهِ الجارية ، فقالَ لهُ يزيد: اغْرُبْ (*) وَهَبَ اللهُ لكَ حَتْفاً قاضِيَاً . (١)

ويصوِّرُ لنا هذا الموقفُ ما آلَتْ إليهِ أمورُ أمةِ الإسلام ، ويكفي شناعةً وفظاعةً وانحداراً تَأَمُّرُ يزيدَ ومَنْ قبلَهُ على الرقابِ وتَحَكُّمُهُ في شؤونِ الدينِ والدنيا .

ويا لِتَعاسةِ الدهرِ وهوانِ الحياةِ وذلةِ الإسلامِ أنْ يَضُمَّ مجلسُ يزيدَ بقيةَ آلِ محمدٍ وعترَتَهُ وكرامَ أهلِ بيتِهِ أسارى مقهورينَ ، وتبلُغَ بهم المحنةُ ويَلْفَهُمُ البلاءُ مما لا يُقْوَى على وصفِهِ والإبانةِ عنه .

وعزَّ على رسولِ اللهِ تَطَاوُلُ المُسُوخِ مِنْ آلِ أبي سفيانَ وبطانَتِهم على مُخَدَّراتِ الإسلامِ ورسولِه ، فأينَ آلُ آيةِ التطهيرِ والشجرةُ الطيبة ، مِنْ آلِ أبي سفيانَ وثمارُ الشجرةِ الخبيثة ؟!

و للهِ رَيْبُ الدهور ، فالحسينُ الإمامُ السبطُ ريحانةُ المصطفى سيدُ شبابِ أهلِ الجنةِ قتيلٌ مَوَزَّعُ الأشلاءِ في فيافي كربلاء ، وآلُهُ بَقِيَّةُ السيفِ رهينةُ التشهيرِ والأسرِ والاستخفاف .

وما تِلْكُمُ الفجائعُ بِمُشْبَعَةٍ نفوسَ اللئامِ من التشفّي بانتقاصِ الكرام ، وحَقَّ لسليلةِ الأمجادِ أنْ يخفِقَ قلبُها ويَرْعُدَ جسمُها للطَّلَبِ الدنيء ، وتَضْطَرِبَ وترى الأجلافَ يُقْدِمُونَ على كلِّ مُوبقةٍ بعد أنِ اقترَفُوا أبشعَ جريمة ، فما

---

١ – الإرشاد ١٢١/٢ . * اغْرُبْ : تَنَحَّ وتَباعَدْ ، غَرِبَ الرجلُ : اسودَّ وجهُه .

كانَ منها إلا أنْ تَعَلَّقَتْ بعمتِها البطلةِ الكافلةِ وهي العليمـةُ بـأنَّ ا للهَ يحـولُ بينَ القومِ وما يريدون ، وقد سَبَقَ لأخيها الإمامِ الشـهيدِ أنْ أنْبَأَهـا بـأنَّ ا للهَ حافظُهم [1] ويأبى ا للهُ لحرائرِ الرسالةِ وعقائلِ النبوةِ أنْ يُمْتَهَنَّ ويُسْـتَخْدَمْنَ ، فـانبَرَتْ (لَبْـوَةُ حيـدرٍ) إلى إفحـامِ الأحمـقِ قائلـةً (كَذِبْـتَ وا للهِ ولَؤُمْـتَ) وكررتْ قَسَمَها با للهِ وأنَّ ذلكَ لا يَتِمُّ لهُ ولا لأميرِه ، هذا ويزيدُ في سُـكْرِهِ ونشوةِ نصرِه ، فلَمْ يتمالَكْ ولَـمْ يَتَجَـرَّعْ -مِـنْ أسـيرةٍ بـينَ يديـهِ- صلابـةً تُذْهِبُ بسَطْوَتِهِ ونفـوذِهِ وهيمنتِـه ، فـإذا بـهِ يـرى نفسَـهُ المُكَـذَّبَ والعـاجزَ الخاسِيءَ ، فَوَجَّهَ تكذيبَهُ إلى السيدةِ الصديقةِ وهو سادِرٌ في ضلالِهِ وكبريائِه ، وما يمنعُهُ ويردَعُهُ والأمرُ في قبضتِهِ ورَهْنُ إشارتِه ، ولكنْ فاتَهُ أنَّ ابنةَ عليٍّ سِبْطَةَ محمدٍ تُفحِمُهُ وتُلْجِمُه ، فتضِلُّ حيلتُه ، وينتَقِضُ تدبيرُه ، كلا يا يزيـدُ وإنْ قَـدَرْتَ ، وأرَقْـتَ مـا أرَقْـت ، وأسَـرْتَ مَـنْ أسَـرْت ، إلا أنَّ ا للهَ لا يُمَكِّنُكَ فيما أرَدْت ، هذا وأنتَ تزعُمُ -وإنْ كنتَ كاذباً- أنكَ على طَرَفٍ منَ الدينِ وملةِ الإسلام ، فجاهِرْ بالخروجِ عنِ الملةِ والمُرُوقِ عنِ الدينِ حتـى يَتَأتّى لكَ امتهانُ حرائرِ الإسلامِ وبناتِ الوحي .

وليستْ هذه المقولةُ منها -فيمـا أحْسَـبُ- إلا تعريضـاً بمروقِـهِ وخروجِـهِ ، فلمَّا قَرَصَتْهُ بلاذِعِ الخطابِ فَطِنَ للقَوْلَةِ الفاضحةِ الجارحـةِ فاسـتطارَ غضبـاً

---

[1] - قال الإمامُ الحسينُ عليه السلام لعيالِهِ في وداعِهِ الثاني : استعِدُّوا للبلاءِ واعلمُوا أنَّ ا للهَ تعالى حامِيكمْ وحافِظُكُمْ وسيُنْجيكُمْ مِـنْ شـرِّ الأعـداءِ ويجعلُ عاقبـةَ أمرِكـم إلى خيرٍ ، ويُعَذِّبُ عدوَّكم بأنواعِ العذابِ ويُعَوِّضُكم عن هذهِ البليةِ بأنواعِ النِّعَمِ والكرامةِ ، فلا تَشْكُوا ولا تقولُوا بألسنتِكُمْ ما يُنْقِصُ مِنْ قَدْرِكم . مقتل الحسين /٣٣٧ .

وطارَ سهمُهُ وفُلَّ وِكَاءُ مَسْكَتِه ، وباحَ بحقيقتِهِ (إيَّايَ تستقبلينَ بهذا ؟!) فمتى كان يدورُ في خَلَدِهِ أنْ يُصْفَعَ في وجهِهِ صفعةً تزيدُهُ شوهةً إلى قباحتِهِ وشوهتِه ، فجَهَرَ بخُبْثِهِ وحماقتِه (إنما خَرَجَ من الدينِ أبوكِ وأخوك) إنه يقولُ هَجْراً وينطِقُ نُكْراً ، ولا أحسَبُهُ إلا وقد انْسَدَّتْ عليهِ المنافِذُ ولا مَذْهَبَ لهُ وضَلَّتْ عنهُ الحيلةُ فلَمْ يهتدِ سبيلاً ، فأَرْسَلَ في غيرِ رَوِيَّةٍ وسَدَّد ، فمتى كان يزيدُ وأسلافُهُ مِنَ الدينِ على منزلةٍ فيميزُ الداخلَ فيهِ والخارجَ منه ؟ وهل كان يَعِي ما يقولُ بأَنَّ علياً والحسينَ خرجا ؟ أجلْ إنهُ لم يدخلْ فيما هما عليهِ من دين ، وهما خارجانِ عمَّا هو فيهِ وعليهِ مِنْ مِلَّة .

ولا مَوْضِعَ والحديثُ مع (يزيدَ) لبيانِ أنَّ علياً والحسينَ رُكْنا الدينِ وأساسُ الإسلام ، وهنا تُشْرِقُهُ بريقِهِ وهو جذلانُ في قصرِ حكمِهِ وزعامتِه ، وبمشهدٍ من جلاوزتِهِ وبِطانتِه ، فتُصَرِّحُ بما لَوَّحَتْ وتبوحُ بِمِلْءِ فيها (بدينِ اللهِ ودينِ أبي ودينِ أخي اهتديتَ أنتَ وجدُّكَ وأبوكَ إنْ كنتَ مسلماً) ودينُ محمدٍ وعليٍّ والحسينِ دينُ الله ، ومحمدٌ رسولُ ربِّه ، وعليٌّ نَفْسُ محمدٍ وناصِرُه ، والحسينُ سِبْطُهُ وعترتُهُ التي خَلَّفَها في أمتِه ، أولئكَ هم حزبُ الله ، وأبو سفيانَ ومعاويةُ وأنتَ يا يزيدُ ، وقد قلتَ إنَّ علياً والحسينَ قد خرجا مِنَ الدين ، فأيُّ دينٍ خَرَجا منهُ وبَقِيتَ داخِلاً فيه ؟ فأنتَ وأسلافُكَ حزبُ الشيطانِ والشجرةُ الخبيثةُ في القرآنِ ... (إنْ كنتَ مسلماً) والمسلمُ تَنُمُّ عنهُ أقوالُهُ وأفعالُه ، وقد اقترفتَ ما اقترفتَ واجترَحْتَ ما اجترَحْت ، أجلْ (إنْ كنتَ مسلماً) وليس هذا الشرطُ المُعَلَّقُ يخُصُّكَ وحدَكَ بل يتنازَعُ فيهِ أبوكَ وجدُّك ، وماذا بَقِيَ في قاموسِهِ إلا أنْ يغدُو ويَرُوحُ على ما اعتادَهُ مِنْ

ساقِطِ القولِ وواهي الحجة (كَذِبْتِ يا عدوَّةَ الله) وقد غَفِلَ الأحمقُ عن مقياسِ العداوةِ لله ، أَمْ يَرَى أنهُ مقياسُ الصدقِ والحق ، وبآلِهِ يجري ذِكْرُ اللهِ في قرآنِه ، وقد سَفَكَ دماءَ الأبرارِ مِنْ أولياءِ الله ، وسَبَى صَفْوَةَ الله

لَئِنْ جَرَتْ لفظةُ التوحيدِ في فَمِهِ فسيفُهُ بسِوَى التوحيدِ ما فَتَكَا

وبعدُ فليس لك منطقٌ إلا الصلافة ، ولا حجةَ إلا الوقاحَةَ والجلافة ، وليس لك حصيفُ عقل ، ولا على لسانِكَ مِنْ عِقَال ، تَشْتِمُ كما تشاءُ ظالماً ، وتَقْهَرُ بسلطانِكَ مُسْتَبِدّاً

ودَعْوَى القويِّ كدعوى السباعْ مِنَ الظُّفْرِ والنَّابِ برهانُها

(فكأنَّهُ استحيا وسَكَت) كلا لا ماءَ في وجهِهِ ولا مروءَةَ لَدَيه ، فهو الطليقُ ابنُ الطلقاء ، ولا يملِكُ إلا أَنْ يَشْتُمَ ويَضْرِب ، وقد أَنْبَأَتْ بواقعِ أمرِهِ ودخيلةِ ذاتِه ، ولو قَدَرَ على شيءٍ غيرَ ذلكَ لَمَا تَلَكَّأَ وأَحْجَم ، وقد عاودَهُ الشامِيُّ الأحمرُ بفضولِهِ فما كانَ منهُ إلا أنْ بَرِمَ بإحراجِهِ وإفحامِهِ ثانيةً وإعادتِهِ لمطرقةِ التقريعِ والإخجالِ ، فزَجَرَهُ ودعا عليهِ (وَهَبَ الله لكَ حَتْفاً قاضِيَاً) فيزيدُ بعدُ لَمْ تَهْدَأْ أعصابُه ، ونالَ ما نالَ مما يَهُونُ لديهِ الحتفُ القاضي والمهندُ الماضي

جراحاتُ السنانِ لها الْتِئَامٌ ولا يَلْتَامُ ما جَرَحَ الْلِسانُ

الدفاعُ عنِ الإمام :

أ- يومَ عاشوراء :

وفي (معدن البكاء) وهَمَّ الشمرُ -لعنهُ الله- بقَتْلِ ابنِ الحسينِ (ع) وهو مريض ، فخرَجَتْ إليهِ زينبُ بنتُ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ (ع) فوَقَعَتْ عليهِ وقالتْ : والله لا يُقْتَلُ حتى أُقْتَلَ ، فكَفَّ عنه .[1]

ب- وفي مجلسِ ابنِ زياد :

فقد أورد الشيخ المفيد -رحمه الله- ما جرى بين الإمامِ عليٍّ بنِ الحسين عليهما السلام وابنِ زيادٍ ، ومن ذلك :

فغَضِبَ ابنُ زياد وقال : وبكَ جُرْأَةٌ لجوابي وفيكَ بَقِيَّةٌ للرَّدِّ عَلَي ؟! اذهَبُوا بهِ فاضْرِبُوا عُنُقَه ، فتَعَلَّقَتْ بهِ زينبُ عمتُهُ وقالتْ : يابنَ زيادٍ حَسْبُكَ من دمائِنا ، واعْتَنَقَتْهُ وقالتْ : والله لا أُفَارِقُهُ فإنْ قَتَلْتَهُ فاقتُلْني معَه ، فنَظَرَ ابنُ زيادٍ إليها وإليهِ ساعةً ثم قال : عَجَبَاً للرَّحِم ، والله إني لأَظُنُّها وَدَّتْ أني قتلتُها معه ، دعوهُ فإني أراهُ لِمَا به .[2]

أقول : إنهُ العلمُ بمقامِ الإمامِ المعصومِ ، والاستماتةُ في الدفاعِ عنهُ ، وبَذْلُ النفسِ للإبقاءِ عليه ، فما أشبهَ حالَها بحالِ أُمِّها ، وحالَ عليٍّ بحالِ علي ، فقد تَنَاسَتِ السيدةُ فاطمةُ الزهراءُ كلَّ ما جرى عليها من خطوبٍ في سبيلِ

---

[1] - زينب الكبرى /١٠٩ . وذكرَ ذلك السيدُ المقرمُ في كتابِهِ (مَقْتَلُ الحسين) ص٣٧١ عن تأريخِ القرماني .

[2] - الإرشاد ١١٧/٢ .

الحفاظِ على إمامِ الأمةِ عليٍّ بنِ أبي طالب ، وهكـذا صَنَعَتِ ابنتُهـا لصيانَـةِ الإمامِ عليٍّ بنِ الحسين ، والفَرْعُ للأَصْلِ يُرَى مُذَكّراً .

خطبةُ السيدةِ زينبَ في الكوفة

ظروفُ الخطبة :

الزمان : بعدَ انتهاءِ المجزرةِ الرهيبةِ والملحمةِ الداميةِ في كربلاء ، ولعلّها في الثاني عشرَ أو ما يليهِ من محرمِ الحرامِ سنةَ ٦١هـ .

المكان : مجمعُ أمةِ الكوفةِ وساحتُها الكبرى .

الملابسات :

أ- تَجَمْهَرَ أهلُ الكوفةِ رجالاً ونساءً وأطفالاً للنظرِ إلى هؤلاءِ السبايا ، وقد أثارَ ذلك العقيلةَ فصاحتْ فيهم :

"يا أهلَ الكوفةِ أما تستَحُونَ مِنَ اللهِ أَنْ تنظُروا إلى حَرَمِ النبي"

ب- أشرَفَتْ عليهنَّ امرأةٌ مِنَ الكوفياتِ فقالت :

مِنْ أيِّ الأُسَارى أنتم ؟ فقُلْنَ :

نحنُ أُسَارَى آلِ محمد .

جـ- أَخَذَ أهلُ الكوفةِ يُناوِلُونَ الأطفالَ التمرَ والجوزَ والخبز ، فصاحتْ فيهم السيدةُ العقيلة :

إنَّ الصدقةَ علينا حرام .

ثم رَمَتْ بهِ إلى الأرض .

هذا وقد نالَها مِنَ الكَرْبِ والبلاءِ ما لا يُوصَفُ ، والله بهِ عليم .

فكيف كانتْ في الليلةِ الحاديةِ عشرة ، وهي مُحاطَةٌ بالعُتاةِ المَرَدَة ، حولَ ما تَبَقّى من خيامِها مما لَـمْ تلتهِمْـهُ النـار ، ومحصـورةٌ بالأدنيـاءِ يرقُبـونَ ودائـعَ الرسالة ، وبقيةَ العترةِ مِمَّنْ أخطـأهم سـيفُ البغي ، فلعـلَّ صبيـاً أو صبيـةً تَفْزَعُ إلى مصرعِ عزيزِها وتبوحُ بشكواها وتَبُثُّ حزنَها ؟

وكيفَ كانتْ وهي على مَقْرُبَةٍ من جثمانِ شقيقِها المُوَزَّعِ السليب ، وحولَـهُ فِتْيَةُ عليٍّ وعقيل ، مُضَمَّخِينَ بدمائِهم ؟

وانجلى ليلُها الطويـلُ بصبـحٍ .. ولكنـهُ امتـدادٌ للبـلاء ، فلمـا أَزْمَعُـوا علـى تسييرهنَّ إلى الكوفةِ قالتِ النسوة :

با للهِ عليكـم إلا مـا مَرَرْتُـم بنـا علـى القتلـى ، ولَمَّـا نَظَـرْنَ إليهـم مُقَطَّعِـي الأوصال ، قد طَحَنَتْهم الخيلُ بسنابِكِها ، صِحْنَ ولَطَمْنَ الوجـوه ، وأَبْـدَتْ زينبُ نُدْبَتَها :

وا محمداه ...

هذا حسينٌ بـالعَراء ، مُرَمَّـلٌ بالدمـاء ، مقَطَّـعُ الأعضـاء ، وبنـاتُكَ سـبايا ، وذريَّتُكَ مُقَتَّلَة .

وتَعَلَّقْنَ وعانَقْنَ قتلاهنَّ فأتاهنَّ زجرُ بـنُ قيـس ، وصـاحَ بهـنَّ فلَـمْ يَقُمْـنَ ، فأَخَذَ يضربُهُنَّ بالسوطِ واجتمعَ عليهنَّ مَنْ أركبوهُنَّ على الجمال .

وبذلكـمُ القلـبِ الجريـح ، والفكـرِ المُـوَزَّع ، والـروحِ المُصابـة ، وبهـاتيكَ المصـائبِ العِظـام ، والخطـوبِ الجِسـام ، وعنـاءِ السـيرِ الحثيـث ، والأسـرِ العنيف .. وَقَفَتْ بطلةُ كربلاءَ أمامَ جمهورِ الكوفةِ التي انبعثَتْ منها الجحافِلُ

لقتلِ الحسين ، وربما كان منهم مَنْ هو حاضرٌ في هذا الجمعِ الحاشِد ، وها هي نساؤُهم وأولادُهم خارجونَ يتفرَّجون .

وقد أَمَدَّتِ العنايةُ الإلهيةُ (عقيلةَ آلِ محمد) بما مَكَّنَها من القيامِ في هذا الموقفِ الرهيبِ ، وتوفيتِهِ حقَّه ، فقد ثَبَّتَ اللهُ قلبَها ، وبعَثَ القوةَ في جسمِها ، وسَكَبَ البيانَ في لسانِها وأمَدَّها بغيبِهِ ومَدَدِهِ .

وما أروعَ وأبدعَ وأعجبَ هذه الحركةَ المعبرة ، وهذا السرَّ الإلهيَّ الذي لاحَ شيءٌ منهُ عبرَ إيماءة :

" أومأَتْ إلى ذلكَ الجمعِ المتراكمِ فهَدَأُوا حتى كأنَّ على رؤوسِهِمُ الطير ، وليسَ في وُسْعِ العددِ الكثيرِ أَنْ يُسْكِنَ ذلك اللفظَ أو يرُدَّ تلك الضوضاءَ لولا الهيبةُ الإلهية ، والبهاءُ المحمديُّ الذي جلَّلَ (عقيلةَ آلِ محمد) " [1]

يقولُ مَنْ شَهِدَ الموقف : لَمَّا أَوْمَأَتْ زينبُ ابنةُ عليٍّ (ع) إلى الناسِ فسكتتِ الأنفاسُ والأجراس .

إنه نفوذٌ معنوي ، وهيمنةٌ روحية ، ومَدَدٌ إلهيٌّ ينسجِمُ مع خطورةِ الموقفِ وجلالِ المشهد ، وهي بهذهِ القوةِ والهيمنةِ تقوى على الإفصاحِ عن ما يَفْرِضُهُ المقامُ مِنْ مَقَال .

---

[1] – مقتل الحسين /٣٨٤ .

استهلال ... وبراعة :

النص :

" الحمدُ لله ، والصلاةُ على أبي محمدٍ وآلِهِ الطيبينَ الأخيار "

البيان :

إنه الإيمانُ والرضا والتسليمُ بالقَدَرِ والقضاء ، فالحمدُ للهِ وإنْ عَظُمَ الخطب ، وإنهُ الحمدُ الحقُّ ، والحمدُ الدائم ، مِمَّنْ رَأَتْ في أخيها وشهادتِهِ قرباناً تسألُ مولاها قبولَه ، واعتَدَّتْ ما رَأَتْ جميلاً مِنْ صنعِ اللهِ ، حيثُ كَتَبَ عليهِمُ القَتْلَ فبرَزُوا إلى مضاجعِهِمْ ، وتَمَثَّلَ الحمدُ صادقاً قولاً وفعلاً في انفعالاتِ هذهِ المرأةِ البطلةِ ، التي افتتحتْ خطابَها بحمدِ اللهِ الذي جعلَهُ اللهُ مفتاحاً للذِكْرِه ، وسبباً لطلبِ المَزيدِ مِنْ فضلِه .

ثُمَّ ثَنَّتْ بالتحيةِ التامةِ مِنَ اللهِ والمصلينَ مِنْ خلقِهِ على شخصِ أبيها ، وما أَوْقَعَ كلمةَ (أبي) في مستهلِّ الخطابِ أمامَ هذهِ الأمة ، ففيها الإعلامُ وإزالةُ اللَّبْسِ وكشفُ التضليل ، والإجهارُ بأني ومَنْ معي مِنْ أهلي وبقيةِ أسرتي عترةُ آلِ محمد ، أسارى بينَ أيديكم ، وأنَّ الحسينَ ومَنْ كانَ معَهُ مِمَّنْ أرويتُم سيوفَكم مِنْ نحورِهم هم أخوتي ، وكلُّنا سلالةُ محمد ، وهو أبونا ، ونحنُ أبناؤُهُ وبناتُهُ وليس لهُ غيرُنا .

والصلاةُ الكاملةُ على آلِهِ فهُمُ الطيبونَ الأخيارُ والأبرارُ الذينَ قُرِنُوا بالصلاةِ عليهِ في الصلاةِ المكتوبةِ والفريضةِ اليومية .

وآلُهُ –هؤلاءِ الذينَ يصلي عليهم اللهُ وملائكتُهُ والذينَ آمنوا– هم الآنَ قتلى وأسارى .

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الزهراء عليها السلام

الدرس الرابع ١٤١٧/١١/٢٣هـ

شرح خطبتي السيدة زينب

عناصر الدرس :

الصفاتُ النفسيةُ لمجتمعِ الكوفة .

١ وَ ٢ – الخَتْلُ والغَدْر – سَنَدُ الحكمِ والإدانة .

٣– رمزُ الحُمْقِ والنفاقِ في نقضِ العهود .

٤ وَ ٥ وَ ٦ – الصَّلَفُ ومَلَقُ الإماء ، وغَمْزُ الأعداء .

٧ وَ ٨ – المَهانةُ وخُبْثُ السريرة .

البكاءُ لا يَغْفِرُ الجريمةَ النَّكْراء ... وجزاؤُها العذابُ الأَبَدِي .

أَفْظَعُ الجرائِم .. قَتْلُ الإمام – ذُلُّ الحياةِ والغَضَبُ الإلهي .

فَدَاحَةُ الأرزاء – رُزْءُ الحسينِ أبكى السماءَ دَمَاً .

إنَّ ربَّكَ لَبِالْمِرْصَاد – كَفَى يابْنَةَ علي .

الصفات النفسية لمجتمع الكوفة :

النص :

" أما بَعْدُ يا أهلَ الكوفة ، يا أهلَ الخَتْلِ والغَدْرِ أتبكُون ؟ فلا رَقَأَتِ الدَّمْعَة ، ولا هَدَأَتِ الرَّنَّة ، إنما مَثَلُكُمْ كمَثَلِ التي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قوةٍ أنكاثاً ، تَتَّخِذُونَ أَيمانَكم دَخَلاً بينَكم ، أَلا وهل فيكم إلاَّ الصَّلَفُ [1] ومَلَقُ الإماء ، وغَمْزُ الأعداء ، أَوْ كمَرْعَى على دِمْنة ، أَوْ كقَصَّةٍ [2] على مَلْحُودة "

اللغة :

الخَتْلُ : الخدعة . رَقَأَ : انقَطَعَ وجَف . الرَّنَّة : : الصوت . الأَنكاث : النقضُ بعدَ الإبرام . الدَّخَل : الدَّغَلُ والخيانةُ والمَكْر . الصَّلَف : مجاوَزَةُ الحدِّ والادِّعاءُ فوقَ ذلك تكبُّراً والتَّمَدُّحُ بما ليسَ عندَه . المَلَق : التذلُّل . الغَمْز : الطَّعْن . الدِّمْنة : ما تُدْمِنُهُ الإبلُ والغنمُ بأبوالِها وأبعارِها فيتلبَّدُ في مرابضِها فينبتُ فيها النباتُ وقد يُعْشِبُ ويَحسُنُ منظرُه . القَصَّة : الجص . الملحودة : القبر .

البيان :

تواجهُ السيدةُ –خطيبةُ الإسلامِ ولسانُ شهيدِهِ الحسين – مجتمعَ الكوفةِ الحاشِد ، وقد فرَغَ بالأمسِ من ارتكابِ أفظعِ جريمةٍ في تأريخِ الإسلام ، تواجهُهُ لتُوقِفَهُ على دخيلتِهِ وحقيقتِه ، وتُحَلِّلَ شخصيتَهُ القَلِقَة ، ونفسيتَهُ المُعَقَّدَة ، منطلِقةً في الاستنتاجِ والحكمِ من نظرةٍ دقيقةٍ ودراسةٍ مستوعِبة :

---

[1] – جاء في بعض نسخ الخطبة (الصَّلِفُ والنَّطِف) والنَّطِفُ هو المتلطخُ بالعيب .

[2] – وفي نسخة (فضة) ولعلها تصحيف ، وما أثبتناهُ أنسَب .

١ وَ ٢ – الخَتْلُ والغَدْرُ :

صفتانِ ذميمتانِ تَرَبَّى وتَرَعْرَعَ عليهما المجتمعُ الكوفي ، فبَرَزَتْ آثارُهما فيه ، وانبعثتْ تصرفاتُهُ منهما .

سَنَدُ الحكمِ والإدانة :

لقد عايشتِ السيدةُ زينبُ عليها السلام مجتمعَ الكوفةِ فترةً حينَ نقلَ أبوها أميرُ المؤمنينَ عليه السلام عاصمةَ الخلافةِ من المدينةِ إلى الكوفة ، ووقفتْ في تلكمُ الفترةِ على البلاءِ الحَسَنِ الجميلِ الذي قامَ بهِ في إشاعةِ الهدى والإيمانِ والتربيةِ وفقَ منهجِهِ الإسلامي .

وقد تربَّى على يديهِ ثُلَّةٌ مباركةٌ حَمَلُوا هَدْيَه ، واستنارُوا بنورِه ، فإذا هم أماثِلُ الرجالِ علماً وإيماناً وشجاعةً ووعياً ﴿وقليلٌ ما هُمْ وقليلٌ مِنْ عبادِي الشَّكُور﴾ فقد مُنِيَ بالسوادِ الأعظمِ وبَرِمَ بهم وملَّهم وملُّوا منه ، وجَهَرَ في خُطَبِهِ بالضَّجَرِ منهم وبثَّ همومَهُ وشكواهُ وضَيقَهُ في أكثرَ من موقفٍ ومقال .

وها نحنُ نعرضُ جملاً من كَلِمِهِ تعرِّفُنا بنظرةِ الإمامِ المربِّي لمجتمعِهِ في عاصمةِ حكمِه :

" ألا وإني قد دعوتُكم إلى قتالِ هؤلاءِ القومِ ليلاً ونهاراً وسِرّاً وإعلاناً ... فتوَاكَلْتُم وتَخاذَلْتُم حتى شُنَّتْ عليكمُ الغارات ، ومُلِكَتْ عليكم الأوطان ... ولقد بَلَغَني أنَّ الرجلَ منهم كانَ يدخُلُ على المرأةِ المسلمةِ والأخرى المعاهَدَة ، فينزعُ قُلْبَها وقلائِدَها ورُعُثَها ما تمتنعُ منهُ إلا بالاسترجاعِ

والاسترحام ... فيا عجباً ! عجباً –وا للهِ– يُميتُ القلبَ ويَجْلِبُ الهمَّ مِنِ اجتماعِ هؤلاءِ القومِ على باطلِهم وتَفَرُّقِكم عن حقِّكم ... يا أشباهَ الرجالِ ولا رجال ، حلومُ الأطفال ، وعقولُ ربّاتِ الحِجال ، لَوَدِدْتُ أني لم أَرَكم ولم أعرِفْكم ، معرفةً –وا للهِ– جَرَّتْ نَدَماً ، وأَعْقَبَتْ سَدَماً ، قاتلَكم الله لقد ملأتم قلبي قَيحاً ، وشَحَنْتُم صدري غَيظاً ... وأفسدتُم عليَّ رأيي بالعصيانِ والخِذلان " [١]

وقال عليها السلام ناهياً عن الغدرِ مُحذراً منه :

" ولقد أصبحنا في زمانٍ قد اتخذَ أكثرُ أهلِهِ الغدرَ كَيْسَاً ، ونسبَهم أهلُ الجهلِ إلى حُسْنِ الحيلة ، ما لَهُمْ ! قاتلَهم الله ! قد يَرى الحُوَّلُ القُلَّبُ [٢] وجهَ الحيلة ، ودونَها مانعٌ مِنْ أمرِ اللهِ ونهيه ، فيدَعُها رأيَ عينٍ بعد القدرةِ عليها ، وينتهزُ فرصتَها مَنْ لا حريجةَ لهُ في الدين " [٣]

ومن توبيخِه :

" إنكم وا للهِ لَكثيرٌ في الباحات ، قليلٌ تحتَ الرايات ، وإني لَعالِمٌ بما يُصْلِحُكم ويُقِيمُ أَوَدَكم ، ولكني لا أرى إصلاحَكم بإفسادِ نفسي ، أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكم ، وأَتْعَسَ جدودَكم ، لا تعرفونَ الحقَّ كمعرفتِكم الباطل ، ولا تُبْطِلُونَ الباطلَ كإبطالِكم الحق " [٤]

---

[١] – نهج البلاغة خ٢٧/ص٦٩ .

[٢] – الحُوَّلُ القُلَّب : البصيرُ بتحويلِ الأمورِ وتقليبِها .

[٣] – نهج البلاغة خ٤١/ص٨٣ .

[٤] – نهج البلاغة خ٦٩/ص٩٩ .

" طعّانينَ عيّابين ، حيّادينَ رَوّاغين ، إنهُ لا غَنَاءَ في كثرةِ عددِكم مع قِلّةِ اجتماعِ قلوبِكم ، لقد حملتُكم على الطريقِ الواضحِ التي لا يهلَكُ عليها إلا هالك ، مَنِ استقامَ فإلى الجنة ، ومَنْ زَلَّ فإلى النار " [1]

" وأسمعتُكم فلم تسمعُوا ، ودعوتُكم سراً وجهراً فلم تستجيبوا ، ونصحتُ لكم فلم تقبَلُوا ، أشهودٌ كغُيّاب ، وعبيدٌ كأرباب ؟ أتلو عليكم الحِكَمَ فتنفُرونَ منها ، وأعِظُكم بالمواعِظِ البالغةِ فتتفرقونَ عنها ... ترجعونَ إلى مجالسِكم وتتخادَعُونَ عن مواعِظِكم ، أُقَوِّمُكم غُدْوَةً وترجعونَ إليَّ عشيةً كظهرِ الحنية ، عَجَزَ المقَوِّم ، وأعْضَلَ المقَوَّم .

أيها القومُ الشاهدةُ أبدانُهم ، الغائبةُ عنهم عقولُهم ، المختلفةُ أهواؤهم ، المُبتَلَى بهم أمراؤهم ، صاحبُكم يطيعُ الله وأنتم تعصونَه ، وصاحبُ أهل الشامِ يعصي الله وهم يطيعونَه ، لَوَدِدْتُ أنَّ معاويةَ صارَفَني بكم صَرْفَ الدينارِ بالدرهم ، فأخذَ مني عشرةً منكم وأعطاني رجلاً منهم .

يا أهلَ الكوفةِ مُنِيتُ منكم بثلاثٍ واثنتين : صُمٌّ ذَوُو أسماع ، وبُكْمٌ ذَوُو كلام ، وعُمْيٌ ذَوُو أبصار ، لا أحرارُ صدقٍ عند اللقاء ، ولا ذوُوا ثقةٍ عند البلاء ، تَرِبَتْ أيديكم يا أشباهَ الإبلِ غابَ عنها رعاتُها ، كلما جُمِعَتْ من جانبٍ تفرَّقَتْ من آخر " [2]

---

[1] – نهج البلاغة خ١١٩/ص١٧٦ .

[2] – نهج البلاغة خ٩٧/ص١٤١ .

وكذلك خَبَرَتْهم السيدةُ ابنةُ عليٍّ في مشاركتِهم أيامَ مِحَنِ الإمامِ الحسنِ أخيها وخذلانِهم له ، ثم تجلّى الأمرُ وانكشَفَ الزَّيفُ بعد هلاكِ معاوية ، واستماتتِهم في دعوةِ أخيها الإمامِ الحسين .

وقد حَفِلَ التأريخُ بنصوصِ وثائقِهم ورسائِلِهم يستحِثُّونَ أخاها الإمامَ في الخروجِ إليهم والنهوضِ بهم .

فقد قال سليمانُ بنُ صردٍ للشيعةِ في الكوفة وقد اجتمعتْ في منزلِهِ :

إنَّ معاويةَ قد هَلَك ، وإنَّ حسيناً قد تَقَبَّضَ على القومِ ببيعتِهِ وقد خرجَ إلى مكة ، وأنتم شيعتُهُ وشيعةُ أبيه ، فإنْ كنتم تعلمونَ أنكم ناصروهُ ومجاهِدو عدوِّه فأَعْلِمُوه ، وإنْ خفتُمُ الفشلَ والوَهْنَ فلا تغُرُّوا بالرجلِ في نفسِه ، قالوا : لا ، بل نقاتلُ عدوَّه ، ونقتُلُ أنفسَنا دونه ، فكتبوا .

ثم سرَّحوا الكتابَ مع رجلينِ وأمروهما بالإسراعِ في سيرِهما ، ولبثوا يومينِ ثم أنفذُوا مجموعةً أخرى تحملُ نحوَ مائةٍ وخمسينَ من الرجلِ والاثنينِ والأربعة ، ثم لبثوا يومينِ آخرينِ فبعثُوا كتاباً آخرَ جاءَ فيه :

للحسينِ بنِ عليٍّ من شيعتِهِ من المؤمنينَ والمسلمين ، أما بعدُ فحيٌّ هَلاَ ، فإنَّ الناسَ ينتظرونك ، لا رأيَ لهم غيرُك ، فالعَجَلَ العجل ، ثم العَجَلَ العجل ، والسلام .

وكتبَ شبثُ بنُ ربعي وحجَّارُ بنُ أبجر ويزيدُ بنُ الحارث وعمرُو بنُ الحجاجِ وآخرون :

أما بعد ، فقد اخْضَرَّ الجنابُ وأينعتِ الثمارُ فإذا شئتَ فاقدِمْ على جندٍ لك مُجَنَّد ، والسلام .

وكان ما كان مِنْ بعثِهِ ابنَ عمِّهِ وأخاهُ وثقتَهُ من أهلِ بيتِهِ مسلمَ بنَ عقيل ، ومبايعتِهم إياه ثم خذلانِهم له وتفرُّقِهم عنه ، حتى أمسى يوماً وصلى المغربَ وما معهُ إلا ثلاثونَ نفساً فما بلغَ أبوابَ كندةَ ومعهُ منهم عشرة ، ثم خرجَ من البابِ فإذا ليس معهُ أحد ، وقد بايَعَهُ ثمانيةَ عشرَ ألفاً ، بل كتبَ إليهِ مسلمٌ قبلَ مقتلِهِ بسبعٍ وعشرينَ ليلةً وكتبَ إليهِ أهلُ الكوفة : إنَّ لك ها هنا مائةَ ألفِ سيفٍ فلا تتأخرْ .

ولَقِيَ الفرزدقُ الإمامَ الحسينَ خارجاً من مكة ، فسألَهُ الإمام : أخبرني عن الناسِ خلفَك ، فقال له : الخبيرَ سألتَ ، قلوبُ الناسِ معك وأسيافُهم عليك .

ولَمَّا وصلَ الإمامُ إلى (زرود) جاءَهُ نبأُ شهادةِ مسلمٍ عليه السلام وعَلَّقَ مَنْ أخبرَ الإمامَ بقولِه : فإنه ليسَ لكَ بالكوفةِ ناصرٌ ولا شيعة ، بل نَتَخَوَّفُ أنْ يكونوا عليك .

وقامَ الإمامُ عليه السلام خطيباً بينَ الأذانِ والإقامةِ في جيشِ الحرِّ وقال :

أيها الناسُ إني لَمْ آتِكم حتى أتتني كتبُكم وقَدِمَتْ عليَّ رسلُكم : أَنِ اقْدِمْ علينا فإنه ليسَ لنا إمام ، لعلَّ الله يجمعُنا بكَ على الهدى والحق ، فإنْ كنتم على ذلك فقد جئتُكم فأعطوني ما أطمَئِنُّ به من عهودِكم ومواثيقِكم ، وإنْ لَمْ تفعلوا وكنتم لِمَقْدَمِي كارهينَ انصرفتُ عنكم إلى المكانِ الذي جئتُ منهُ إليكم .

فسكتوا عنه ولم يتكلمْ أحدٌ منهم بكلمة .

وصلى العصرَ وخطبَ فيهم أيضاً ، ومما قال :

وإنْ أبيتُم إلا كراهيةً لنا والجهلَ بحقّنا ، فكانَ رأيُكم الآنَ غيرَ ما أتتني بهِ كتبُكم وقَدِمَتْ بهِ عليَّ رسلُكم انصرفتُ عنكم .

فقالَ لهُ الحُرُّ بنُ يزيدَ الرياحي –وكان على جيشٍ في ألفِ فارسٍ مِنْ قِبَلِ ابنِ زياد : أنا والله ما أدري ما هذهِ الكتبُ والرُّسُلُ التي تذكُر ، فقالَ الحسينُ عليه السلام لبعضِ أصحابهِ : يا عقبةُ بنُ سمعان أَخْرِجِ الخرجينِ اللذينِ فيهما كتبُهم إلي ، فأخرَجَ خرجينِ مملوءينِ صُحُفاً فنُثِرَتْ بينَ يديه .

وخَطَبَ في القومِ يومَ عاشوراءَ وقال لهم فيما قال :

يا شبثُ بنَ ربعي ، يا حجّارُ بنَ أبجر ، يا قيسُ بنَ الأشعث ، يا يزيدُ بنَ الحارث : أَلَمْ تكتبوا إلي ... فقال قيس : ما ندري ما تقول .

وخَطَبَ الحُرُّ بنُ يزيدَ الرياحي –يومَ عاشوراءَ بعد لحوقِهِ بركبِ الحسينِ– فقال : يا أهلَ الكوفة ، لأُمِّكُمُ الهَبَلُ والعَبَر ، أَدعوتُم هذا العبدَ الصالحَ حتى إذا أتاكم أسلمتُموه ، وزعمتُم أنكم قاتِلو أنفسِكم دونَهُ ثم عَدُوتُم عليهِ لتقتلوه . [1]

إذن فالحكمُ على هذا المجتمعِ بالاتصافِ بهاتينِ الصفتين (الخَتْلِ والغَدْر) جاءَ نتيجةَ نظرةٍ قريبةٍ ثاقِبة ، فكانَ هذا الطبعُ متغلغلاً في أعماقِهم وعريقاً في حياتِهم كما دَلَّلَتْ عليهِ شؤونُهم مع الأئمةِ الهداة ، وما أبعدَهما من صِفَتَي دناءةٍ تبعِدُ بالمتحَلّي بشيءٍ منهما عن الإنسانيةِ والمروءة .

---

[1] – الإرشاد ٢/٣٦–١٠٠ بتصرفٍ وتلخيص .

٣- رمزُ الحُمْقِ والنفاقِ في نقضِ العهود :

فقد بايعوا أئمةَ الحق : علياً والحسنَ والحسين ، وكلما بايعوا نقضُوا ، وكلما عاهدوا لَمْ يوفوا ، فمثلهم كمن حكى الله عنها في كتابِهِ العزيز ، وضربَها مثلاً :

﴿ولا تكونوا كالتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بعدِ قوةٍ أَنكاثاً﴾ وهي امرأةٌ حمقاءُ من قريش ، وتسمَّى خرقاءَ مكة ، فقد كانتْ تغزِلُ مع جواريها إلى انتصافِ النهار ، ثم تأمرُهُنَّ أن ينقضُوا ما غَزَلْنَ ، ولا يزالُ ذلك دأبَها .

وإنْ كنتم -يا أهلَ الكوفةِ- مثلَها رمزاً ومثلاً للحُمق ، فقد أضفتُم إلى ذلك نفاقاً وخيانةً ومكراً ﴿تَتَّخِذُونَ أَيمانَكم دَخَلاً بينكم﴾ و(الدَّخَلُ) لأن داخلَ القلبِ على الغدر ، والظاهرَ على الوفاء ، ولبئسَ ما صنعوا بعد أن بايعوا وعاهدوا ووكّدوا الأيمان ، ففسخوا البيعةَ ، ونكثُوا العهدَ ، ونقضُوا الأيمان ، فعمدُوا إلى أقدسِ المقدساتِ فعاثُوا فيها وأفسَدُوا .

٤ وَ ٥ وَ ٦ - الصَّلَفُ ومَلَقُ الإماء ، وغَمْزُ الأعداء :

وقد أكدتِ السيدةُ الخبيرةُ بهم على ما اتصفوا بهِ مِنْ سِماتِ مهزوزي الشخصية ، فهم مُفَرِّطونَ متجاوِزُو الحدِّ في طبائِعِهم ، يدَّعونَ لأنفسِهم أكبرَ من حجمِهم وواقِعِهم ، متكبرينَ يمتدِحُونَ بما ليس فيهم ، وهم مع هذا مُتَمَلِّقونَ كما تتمَلَّقُ الإماءُ إلى أسيادِها ، وهذا تناقضٌ في شخصياتِهم ، فأينَ تكبُّرُهم وتعاليهم وهم الأذِلاَّء ؟ يطمعُ فيهم عدوُّهم فيغمِزُهم

ويطعنُ فيهم فلا يدفعُونَ ولا يَمنعونَ ولا يَحمونَ أنفسهم ، فما بالُهم والدَّعاوَى الكبيرة ؟

٧ وَ ٨ – المَهانةُ وخُبْثُ السريرة :

وتجهرُ لهم السيدةُ في مُحاكَمَتِها العلنيةِ الفاضِحةِ ، بما انحدرُوا إليهِ مِنْ مَهْوَىً سحيق ، وبؤرةٍ نَتِنة ، فمثَلُهم كمُلْتَقَى قذراتٍ خلَّفَتْها الإبلُ والغنمُ من أبوالِها وأبعارِها ، فنبَتَ من فضلاتِها العشبُ والخُضرة ، منظرُهُ حسن ، وواقعُهُ قبيح .

ومَثَلُهم أيضاً كبناءٍ أبيضَ تروقُ صورتُه ! لكنه بناءٌ على قبرٍ فيهِ مَيْتَة ! كلما تقادَمَ عهدُها اشتدَّ عفنُها ، فما يغني الشكلُ والمنظرُ والصورة ، والقلوبُ جِيَفٌ ، والضمائرُ ميتة ،

فلو لَبِسَ الحمارُ ثيابَ خَزٍّ ... .

فكنتم على تلكم المَثابةِ ولَمْ تزالوا ، فهي طبيعةٌ لكم ، وإنْ بدا منكم الآنَ استشعارُ حزنٍ أو ندمٌ على ما أسلفتُم وفرَّطْتُم ، فما هو بنبأٍ صِدْق ، فأنتم كما أنتم ، ودموعُكم هذهِ دموعُ النفاق ، وعَبْرَتُكم عَبْرَةُ المكرِ والخداع ، جَعَلَ اللهُ عَبْرَتَكم طويلةً وحزنَكم سرمداً وحياتَكم مليئةً بالأحزان .

البكاء لا يغفر الجريمة النكراء ...
وجزاؤها العذاب الأبدي :

النص :

" ألا بِئْسَ ما قَدَّمَتْ لكم أنفُسُكم أَنْ سَخِطَ اللهُ عليكم وفي العذابِ أنتم خالِدُون ، أتبكونَ وتَنتحِبون ؟ إيْ واللهِ فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً "

البيان :

فقد أقدمتُم على ما أسخَطَ اللهَ عليكم ، فأنتم المطرودونَ من رحمتِه ، ومصيرُكم لا محالةَ إلى عذابِهِ الدائمِ ، في نارٍ سَجَرَها جبَّارُها لغضبِه ، فأنتم فيها تَتَقَلَّبون ، فلا ينفعُكم النَّدَم ، وحَقَّ لكم أنْ تبكوا دهرَكم ، وتنتحِبُوا عمرَكم ، فابكوا كثيراً مُرَّاً على عظيمِ جنايتِكم ، وشنيعِ فَعْلَتِكم ، فليسَ ذلك بِمُجْدِيكم نفعاً ، ولا ينفعُكم تكفيراً .

وإذا ما تأمَّلْنا بدقةٍ في إشارةِ السيدةِ وإلماحِها إلى الآيةِ مقروناً بما سبقَها ولَحِقَها ، فإننا نقِفُ على ركيزةِ هذا الحُكْمِ الشديدِ على هؤلاءِ الجُناةِ البُغاة ، وأنَّ حكمَهم الكفر ، ولا تُقْبَلُ لهم توبةٌ ، والنارُ مثوىً لهم ، فقد سَبَقَ ما أشارتْ إليهِ قولُهُ ﷻ : ﴿لُعِنَ الذينَ كَفَرُوا مِنْ بني إسرائيلَ على لسانِ داوودَ وعيسى بنِ مريمَ ذلك بما عَصَوا وكانوا يَعْتَدُونَ ۞ كانوا لا يَتَناهَونَ عن مُنْكَرٍ فعلوهُ لَبِئْسَ ما كانوا يفعلون ۞ ترى كثيراً منهم يَتَوَلَّونَ الذينَ كفرُوا لَبِئْسَ ما قَدَّمَتْ لهم أَنْفُسُهم أَنْ سَخِطَ اللهُ عليهم وفي العذابِ هم خالِدون ۞ ولو كانوا يؤمنونَ باللهِ والنبيِّ وما أُنْزِلَ إليهِ ما اتَّخَذُوهم أولياءَ ولكنَّ كثيراً منهم فاسِقُون﴾ (المائدة-٧٨-٨١)

وهؤلاءِ بايَعُوا الإمامَ الحسين عليه السلام ونَكَثُوا ، وما اكتفَوا حتى بَغَوا عليهِ وقتلُوهُ ، فهذا حكمُهم .

وقد قرَّرَ علماؤُنا ذلكَ في كتبِ الاعتقادِ والفقه .

قال السيدُ المرتضى رحمه الله : " ومما انفردَتْ بهِ الإماميةُ القولُ بأنَّ مَنْ حارَبَ الإمامَ العادلَ وبَغَى عليهِ وخَرَجَ عن التزامِ طاعتِهِ يجري مَجْرَى محاربِ النبي (ص) وخالعِ طاعتِهِ في الحُكم ، وإن اختلَفَ أحكامُهما من وجهٍ آخر ... فأما إظهارُ الشهادتينِ فليسَ بدالٍّ على كمالِ الإيمان ، ألا ترى أنَّ مَنْ أظهَرَهما وجَحَدَ وجوبَ الفرائضِ والعباداتِ لا يكونُ مؤمناً بل كافراً ، وكذلكَ إقامةُ بعضِ العباداتِ من صلاةٍ وغيرِها ، ومَنْ جَحَدَ أكبرَ العباداتِ وأَوْجَبَها مِنْ طاعةِ إمامِ زمانِهِ ونصرتِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ أنْ يقومَ بعبادةٍ أخرى من صلاةٍ وغيرِها " [1]

وهكذا التأمُّلُ فيما أَلْمَحَتْ إليهِ عليها السلام مِنْ إشارةٍ إلى آياتِ سورةِ التوبة ، فإن الحديثَ فيها عن المنافقينَ والمتخلِّفينَ عن اللُحوقِ برسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوةِ تبوك ، وتطبيقِ جملةٍ من الأحكامِ عليهم لنفاقِهم وكفرِهم :

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِم خِلافَ رسولِ اللهِ وكَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بأموالِهم وأَنْفُسِهم في سبيلِ اللهِ وقالُوا لا تَنْفِرُوا في الحرِّ قُلْ نارُ جهنَّمَ أشَدُّ حراً لو كانوا يفقَهُون ۞ فلْيَضْحَكُوا قليلاً ولْيَبْكُوا كثيراً جزاءً بما كانُوا يَكْسِبُون ۞ فإنْ رَجَعَكَ اللهُ إلى طائفةٍ منهم فاستأْذَنُوكَ للخُروجِ فقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا معي أبداً ولَنْ تُقاتِلُوا معي عَدُوّاً إنكم رَضِيتُم بالقُعُودِ أولَ مرةٍ فاقْعُدُوا مع

---

[1] - الانتصار /٢٣١-٢٣٣ ملخصاً .

الخالِفِينَ ۞ ولا تُصَلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبداً ولا تَقُمْ على قبرِهِ إنهم كفَرُوا باللهِ ورسولِهِ وماتُوا وهم فاسِقون﴾ (التوبة -٨١-٨٤)

هذا والحسينُ إمامٌ بنصٍّ جدِّهِ رسولِ اللهِ ﷺ : " الحسنُ والحسينُ إمامانِ قاما أو قَعَدَا " مضافاً إلى ما مَرَّ مِنْ أنهم بايَعُوهُ ثُمَّ خذَلُوهُ وقَتَلُوه ، فحَقَّتْ عليهم اللعنةُ وسُوءُ العذاب ، وقد وَرَدَ عن الإمامِ عليِّ بنِ الحسينِ عليهما السلام قولُهُ : تنوحُونَ وتبكُونَ مِنْ أجلِنا ؟ فَمَنْ قَتَلَنا ؟ [1]

أفظع الجرائم .. قتل الإمام :

النص :

" فلقد ذهبتُم بعارِها وشَنَارِها ، ولن تَرْحُضُوها بغَسْلِ بعدها أبداً ، وأنّى تَرْحُضُونَ قَتْلَ سليلِ خاتَمِ النبوة ، ومَعْدِنِ الرسالة ، ومِدْرَهِ حُجَّتِكم ، ومَلاذِ خيرتِكم ، ومَفْزَعِ نازلتِكم ، وسيدِ شبابِ أهلِ الجنة ، ألا ساءَ ما تَزِرُون "

اللغة :

العار : كلُّ شيءٍ يلزَمُ بهِ سُبَّةٌ أو عيب . الشَّنار : العيب . رَحَضَ : غَسَلَ . المِدْرَهُ : زعيمُ القومِ ومرجِعُ رأيهم وخطيبُهم والسيدُ الشريف . المَنار : العَلَمُ يُجْعَلُ للطريق . النازِلة : الشديدةُ من شدائِدِ الدهر .

---

[1] - البحار ١٠٨/٤٥ .

البيان :

ولا بدَّ للسيدةِ وهي في مثلِ هذا الموقِفِ مِنَ الكشفِ للمخاطَبين ولأجيالِ التأريخ عن فداحةِ الخَطْبِ ، وعظيمِ ما اقترَفَهُ المجرمونَ القَتَلَة ، وفي هذا ما يحمِلُ الدليلَ على استحقاقِ العذابِ الدائِم ، والتّقلُّبِ في دركاتِ الجحيم .

يا أوباشَ الكوفة ، أتُدرِكونَ ما أتيتُم ؟ لقد ذهبتُم بعارِ الدهرِ وشَنارِ الأبد ، وتَمَثَّلَ في فعلِكم أعظمُ جريمةٍ تُقْتَرَف ، وها أنتم الآنَ تبكُون ! فهل تغسلُونَ بدموعِكم شنيعَ جنايتِكم ، كلاّ فلا يغسِلُ تلكم الخطيئةَ العظمى فِعْلٌ من الأفعال ، حيثُ لا موطِنَ لتَدارُكِ غلطةِ الدهر ، وجَبْرِ خسارةِ فقدِه ، أتدرُونَ أنكم عَدَوتُم على سَفْكِ الدماءِ الزاكيةِ لريحانةِ رسولِ اللهِ والإسلام ؟

أجل وإنهُ الحَدَثُ الجَلَلُ أنكم عَمَدْتُم إلى ذلك الوجودِ المُقَدَّس ، وتلكم الكمالاتِ الإلهية ، فأعْمَلْتُم فيها أحقادَكم وأسيافَكم .

إنهُ (سليلُ خاتَمِ النبوة) فهو ابنُهُ بنصِّ اللهِ في كتابِهِ يومَ باهَلَ به ، وإنهُ بقيةُ أهلِ بيتِه ، وامتدادُهُ القائلُ في شأنِه : حسينٌ مني وأنا مِنْ حسين .

وإنهُ (مَعْدِنُ الرسالة) فهو الإمامُ الذي نَزَلَ الوحيُ على جدِّهِ في بيتِه ، وقد خَلَّفَهُ إماماً على أمتِه .

وإنهُ (مِدْرَهُ حُجَّتِكم) : سيدُ الإمةِ وشريفُها ، وموئِلُها وكَهْفُها ، والدليلُ الذي يهديها بنورِهِ إلى سواءِ السبيل ، والمَلْجَأُ الذي يحتمي بهِ الأبرار ، والمَفْزَعُ الذي تَفْزَعُونَ إليهِ في الشدائدِ والمُلِمَّات ، فيكفِيكم أمرَكم ، وتعتصِمُونَ بهِ في شدائِدِ الأمورِ ومكارِهِ الدهور .

وإنهُ (سيدُ شبابِ أهلِ الجنة) وهي ميزةٌ اختصَّ بها ولَـمْ يُشارِكْهُ في شرفِها إلا أخوهُ الإمامُ الحسنُ المجتبى .

فهل يُرَى وِزْرٌ أعظمَ من هذا الوِزْرِ وأسوأ منه ؟ (ألا ساءَ ما تَزِرُون) . وهل يَغْسِلُهُ نَـدَم ؟ أوْ يُكَفِّرُ عنـهُ بكـاء ؟ أوْ يُتَـدَارَكُ بعميل ؟ كـلاَّ فـلا تنفعُكم الصالحاتُ ولو أتيتُم بها ما بقيتُم ، ولا جزاءَ لكم إلا النار ، وغضبُ الجبار ، وسوءُ المصيرِ والقرار .

هذا الحياة والغضب الإلهي :

النص :

" فتَعْساً لكم ونَكْساً وبُعْداً لكم وسُحقاً ، فلقد خابَ السَّعْيُ ، وتَبَّتِ الأيدِي ، وخَسِرَتِ الصَّفْقَة ، وبُؤْتُم بغَضَبٍ مِنَ اللهِ ورسولِه ، وضُرِبَتْ عليكمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنَة "

اللغة :

التَّعْسُ : الشرُّ والانحطاطُ والهَلاك . النَّكْسُ : القلبُ على الـرأس ، والعَـودُ إلى ما كانَ عليهِ من حالة . السُّحق : البُعْـد . تَبَّـتْ : خَسِـرَتْ وهَلَكَـتْ . بـاءَ : رجَعَ .

البيان :

ولا يَفِي مقالٌ مهما عَظُمَ بفظاعةِ الجُرْم ، وفداحـةِ الخطب ، وبـالغِ المأسـاةِ والمُصاب ، ولَمْ يَبْقَ شيءٌ أنْ يُقَالَ هؤلاءِ المُجرمينَ إلا تكرارُ الدعـاءِ عليهـم

، وبيانُ واقعِهِمُ المَشين ، والإنباءُ بما تُضمِرُ لهمُ الأيام ، ويُخَبِّئُهُ المستقبلُ التعيس .

فحياتُهم موسومةٌ بالشرِّ والانحطاطِ والتَرَدِّي ، والعودةِ إلى ما كانوا عليهِ من عبوديتِهم لبني أميةَ أعداءِ الدينِ والإنسانية ، واستعبادِهِمُ الدائمِ لهم ، بعدَ أنْ لَمَعَ فيهم نورُ الإمامةِ والإيمانِ والكرامةِ لِيَرْفَعَهُمْ من حضيضِ المَهانة ، ولكنْ خابَ سعيُهم ، وساءَ صنيعُهم ، واصْطَبَغَتْ حياتُهم بالهلاك ، وصفقتُهم بالبَوارِ والخسرانِ المبين ، وهاهم وقد تَعَرَّضُوا لِسَخَطِ الجبارِ عليهم ، فهم في موطنِ غضبِ اللهِ ورسولِه ، لا تشملُهم رحمةٌ ولا تنالُهم نعمة ، فهم المطرودونَ المحرومون ، وقد كُتِبَتْ عليهم الذلةُ والمسكنةُ في حياتِهم ، ولَعَذَابُ الآخرةِ أَخْزَى وأشَدُّ وأَبْقَى .

فصاحة الأمراء :

النص :

" وَيْلَكُمْ يا أهلَ الكوفة ! أَتَدْرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لرسولِ اللهِ فَرَيْتُم ؟! وأَيَّ كريمةٍ لهُ أَبْرَزْتُمْ ؟! وأَيَّ دَمٍ لهُ سَفَكْتُمْ ؟! وأَيَّ حُرْمَةٍ لهُ انْتَهَكْتُمْ ؟! لقد جِئْتُمْ شيئاً إدّاً ، تَكَادُ السماواتُ يَتَفَطَّرْنَ منهُ وتَنْشَقُّ الأرضُ وتَخِرُّ الجبالُ هَدّاً ، ولقد أَتَيْتُمْ بها خرقاءَ شوهاء ، كَطِلاعِ الأرضِ ومِلْءِ السماء " .

اللغة :

فَرَى : قَطَع . الإِدُّ : العجبُ والأمرُ الفظيعُ المُنْكَر . الهَد : الهَدْمُ ووقوعُ وسقوطُ شيءٍ ثقيل . الخَرْقاء : الحمقاء . الشَّوْهاء : القبيحة . طِلاع : طِلاعُ الشيءِ ملؤُهُ حتى يسيل ، وطِلاعُ الأرضِ ما طَلَعَتْ عليهِ الشمس منها .

البيان :

والمَأْتَمُ حيٌّ قائمٌ في وجدانِ السيدةِ العقيلة ، ومَشَاهِدُهُ ماثِلَةٌ أمامَ ناظِرَيْها ، فلا غَرْوَ لو بَثَّتْ أحزانَها ، ونَفَثَتْ أشجانَها ، وعاوَدَتْ حديثَ الجراح ، فالخَطْبُ فظيع ، وبلاؤُهُ واسعٌ شنيع .

فالويلُ لأهلِ الكوفةِ لعظيمِ ما أجرَمُوا ، وما عساني ذاكرةً مما اقتَرَفُوا ، أَيَعْلَمُ هؤلاءِ المجرمونَ أنهم بَغَوا على رسولِ الله ؟! فَعَمَدُوا إلى كبدِهِ يوسِعُونَها تقطيعاً ! وهم في ذلكَ قد سَحَقُوا أقدسَ المقدسات ، وأشرفَ النفوس ، أيدرونَ أن كرائمَ الرسالةِ وحرائرَ النبوةِ لَمْ تُصَنْ بينهم .. بل ومنهم .. فقد هَجَمُوا عليهنَّ خيامَهُنَّ وأحرقُوها .. وروَّعُوهُنَّ .. وضربوهنَّ .. وساقُوهُنَّ سبايا .. وأنَّ أسيافَ بَغْيِهم أوغَلُوها في ذريةِ محمد ، فلَمْ يَسْلَمْ منها شيخٌ ولا شابٌّ ولا صبيٌّ .. بل ولا رضيع ، وإنَّ انحرافَهم وتَجَرُّدَهم من الإنسانيةِ لَمْ يَقِفْ عند حد ، فلَمْ تَبْقَ حُرْمَةٌ من الحرماتِ إلا انتَهَكُوها ، ولا جريمةٌ من الجرائمِ إلا أقدَمُوا عليها .

سبحانَ الله ! أهؤلاءِ بَشَرٌ أَمْ شَر ؟! بل وأيُّ شرٍّ هم ؟! وقد قِيل : " بعضُ الشرِّ أَهْوَنُ من بعض " أَمَّا هؤلاءِ المَمْسُوخونَ فشرُّهم لا يَقِفُ عند حد ، ولا لِمُوبِقَاتِهِ عَد ، ولذلكَ فإنَّ السيدةَ زينبَ عليها السلام ربما فصَّلَتْ ، وربما

أَجْمَلَتْ ، وتارةً تصرِّحُ ببعضِ تلك الجرائم ، وأخرى تشيرُ إلى جليلِ تلكمُ الكوارِث ، كما جاءَ في كَلِمِها : لقد جِئْتُمْ شيئاً إدّاً ، فالفعلُ عجيبٌ لا ينتهي منه التعَجُّب ، ولو تَفَطَّرَتِ السماواتُ وانشَقَّتِ الأرضُ وتَهَدَّمَتِ الجبالُ لحدثٍ ما لكانَ هذا الحدثُ أولى بأنْ يتَبَدَّلَ الكونُ بأسرِهِ جرّاءَ ما ارتكبتُم من جرائِم .

وبعد ، فقد تَمَثَّلَ فيما اقترفتُم الحماقةُ والمحدارُ التفكيرِ والحقارة ، وأقبحُ وجهٍ مُشَوَّهٍ مَشين .

هذا والرزايا جَمَّة ، والأحداثُ كبار ، والمحنةُ عظيمةٌ في ذاتِها وآثارِها ، وإنْ يكنْ لها من حدٍّ وعَدٍّ فهي مِلْءُ الكون ! بأرضِهِ وآفاقِهِ الرحيبة ، وسمائِهِ الواسعةِ غيرِ المتناهية .

أجل ... إنهم بسفكِهِم دماءَ سيدِ الشهداء ، إمامِ الأمةِ وخليفةِ الله ورسولِه ، قد حَرَمُوا الحياةَ من الخيراتِ في كافةِ الشؤونِ والمجالات ، وهيَّؤُا أسبابَ الشقاءِ والانحطاطِ والتَرَدِّي في بُؤَرِ الجهلِ والانحراف ، فما عسى أنْ يُوصَفَ به غيرُ المتناهي في عالَمِ الكون .

وزء الحسين أبكى السماء دماً :

النص :

" أَفَعَجِبْتُم أَنْ أَمْطَرَتِ السماءُ دَماً " [1]

---

[1] – في بعض روايات الخطبة (قَطَرَت) .

البيان :

و(عقيلةُ آل محمد) في موقِفِها العظيمِ لا تُحِيلُ على شاهدٍ غـائب ، أو دليـلٍ بعيد ، ولا تُرْجِيءُ إلى مستقبل ، بل تُبَرْهِنُ على عظيـمِ النازلـةِ بدليـلٍ وقـعَ وهو محسوسٌ لَدَى هؤلاءِ الجُناةِ ، فيرونَهُ مهما عَمُوا عن الحق ، وقد أرادتْ أنْ تُدَلِّلَ على قولها أنَّ المصيبةَ عَمَّتْ رَحْبَ الأرضِ وآفاقَ الكون ، فهـاهم يرونَ السماءَ تُمْطِرُ الأرضَ دَمَـاً ، ليس في كربـلاءَ وحدَهـا بـل تُرْسِـلُهُ إلى أنحاءَ عديدةٍ من الأرضِ المعمورة ، ناعياً للحسـين ، وشـاهداً علـى الفاجعـةِ الكبرى ، ونذيراً بالغضبِ الإلهي .

وحديثُ الدم سَبَقَ كربلاء ، فقبلَ أكثرِ من خمسينَ سنةً أنبأَ بهِ جـدُّ الحسـينِ رسولُ اللهِ ﷺ عن جبرئيلَ عليه السلام عن اللهِ تعالى .

روى أحمـدُ بـنُ حنبـل : " عـن عائشـةَ أو أُمِّ سـلمة أنَّ النـبيَّ ﷺ قـالَ لإحداهُما : لقد دَخَلَ عَلَيَّ البيتَ مَلَكٌ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيَّ قبلَها ، فقالَ لي : إنَّ ابنَكَ هذا حسيناً مقتول ، وإنْ شئتَ أَرَيتُكَ من تربةِ الأرضِ التي يُقْتَلُ بها ، قال : فأَخْرَجَ إليَّ تربةً حمراء "

" وعنِ ابنِ عباسٍ قال : رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنامِ بنصـفِ النهـار ، أَشْعَثَ أَغْبَر ، معهُ قارورةٌ فيها دَمٌ يَلْتَقِطُهُ أو يتبَعُ فيها شيئاً ، فقلتُ : يا رسولَ الله ، ما هذا ؟ قال : دَمُ الحسينِ وأصحابِهِ لَمْ أَزَلْ أَتَتَبَّعُهُ مُنْذُ اليوم .

قال عَمَّار : فحَفِظْنا ذلكَ فَوَجَدْناهُ قُتِلَ ذلك اليومَ عليه السلام "

وروى البلاذِري :

" عن أبي حصينٍ قال : لَمَّا قُتِلَ الحسينُ مَكَثُوا شهرينِ أو ثلاثةً وكأنما يُلَطَّخُ الحيطانُ بالدمِ من حينِ صلاةِ الغَداةِ إلى طلوعِ الشمس "

" وعن سالمٍ القاص ، قال : مُطِرْنا أيامَ قُتِلَ الحسينُ دَمَاً "

" وعن محمدِ بنِ سيرين قال : لَمْ تُرَ هذهِ الحُمْرَةُ في آفاقِ السماءِ حتى قُتِلَ الحسين "

وروى الطبراني :

" عن الزهري قال : لَمَّا قُتِلَ الحسينُ بنُ علي -رضي الله عنه- لَمْ يُرْفَعْ حَجَرٌ ببيتِ المَقْدِسِ إلا وُجِدَ تحتَهُ دَمٌ عبيط "

" وعن ابنِ شهاب قال : ما رُفِعَ بالشامِ حَجَرٌ يومَ قُتِلَ الحسينُ بنُ عليٍّ إلا عن دَم -رضي الله عنه "

" وعن الكندي قال : لَمَّا قُتِلَ الحسينُ -رضي الله عنه- مَكَثْنا سبعةَ أيامٍ إذا صلينا العصرَ نظَرْنا إلى الشمسِ على أطرافِ الحيطانِ كأنها المَلاحِفُ المُعْصَفِرَّة ، ونَظَرْنا إلى الكواكبِ تَضْرِبُ بعضُها بعضاً " [1]

---

[1] - اعتمدنا في نقلِ هذه الروايات على ما دونهُ عزيزُنا الراحلُ العلامة السيد عبدالعزيز الطباطبائي في كتابِهِ (الحسينُ والسنة) وقد اختارَ رواياتِهِ من كتاب (الفضائل) لأحمد بن حنبل ، و(أنسابُ الأشراف) للبلاذري ، و(المعجم الكبير) للطبراني .

وحديثُ الدمِ بحثٌ طويلٌ ذو شُجُون ، ذكرنا بعضَهُ في كتاب (الحسينُ في موكبِ الخالدين) .

والروايات كثيرةٌ جداً من الشيعةِ والسنة ، وتجدرُ مراجعةُ (بحار الأنور) ج٤٥/٢٠١-٢٢٠ ، باب (ما ظَهَرَ بعدَ شهادتِهِ من بكاءِ السماءِ والأرضِ عليه) صلى الله عليه .

أقول :

إنّ حدوثَ تلكم الظاهرةِ الكونية ، المنبعثةِ عن الحدث ، دليلٌ على عظمةِ الحدث ، وجلالةِ خطرِه ، ونلاحظُ التناسبَ بينَ الحدثِ وانفعالِ الكون ، فكما ارْتَوَتِ الأرضُ بدماءِ سيدِ الشهداء ، وخيرةِ آلِهِ ، وصَفْوَةِ صَحْبِه ، فقد حاكَتْها السماءُ فأهْطَلَتْ مطرَها دماً .

وإن حدثاً كونياً مثيراً كهذا يفاجِيءُ الدنيا ، لا بدَّ وأنْ يحملَ في مضمونِهِ سراً عميقاً ، ومَغْزىً بعيداً ، فلعلَّ لولايةِ الإمامِ المطلقةِ على الكونِ صِلَةً وارتباطاً ، ويؤيِّدُ ذلك ما كَشَفَتْهُ الرواياتُ من بكاءِ الكائناتِ لمصابِ إمامِ الشهداءِ أبي عبدِالله ، وأعتقدُ أنَّ ثمّةَ أسراراً أخرى تكتَنِفُ هذهِ الحادثةَ الرهيبة ، وكافةَ شؤونِ قضيةِ الحسينِ الكبرى ، قضيةِ الوجود ، هذا وللدمِ المقدسِ المطلولِ من نحرِ الرضيع .. ومن عليٍّ الأكبر .. ومن نحرِ الحسينِ الشريف ، شؤونٌ ودلالاتٌ ومعانٍ كبار ، وخوارقُ عادات .

فما معنى أنْ يرمي بدماءِ رضيعِهِ إلى السماءِ فترتفعُ ولا تسقُطُ منها إلى الأرضِ قطرة ؟!

وما معنى أنْ يَخْضِبَ –وفي لحظاتِهِ الأخيرة– كريمَتَهُ بقاني دَمِ مهجتِهِ وفؤادِه ؟!

" أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ في الخُلْد ، واقْشَعَرَّتْ لهُ أَظِلَّةُ العرش ، وبكى لهُ جميعُ الخلائِق ، وبَكَتْ لهُ السماواتُ السَّبْع ، والأَرَضُونَ السَّبْع ، وما فيهِنَّ وما بينَهُن ، ومَنْ يَتَقَلَّبُ في الجنةِ مِنْ خَلْقِ ربِّنا ، وما يُرَى وما لا يُرَى " [1]

---

[1] – من فقراتِ بعضِ زياراتِ الحسينِ عليه السلام المرويةِ عن الإمامِ الصادق عليه السلام .

إن ربك لبالمرصاد :

النص :

" ولَعَذَابُ الآخرةِ أَخْزَى وهُمْ لا يُنْصَرُون ، فلا يَسْتَخِفَّنَكُمُ المَهْل ، فإنهُ لا يَحْفِزُهُ البِدَار ، ولا يَخَافُ فَوْتَ الثار ، وإنَّ ربَّكُم لَبِالْمِرْصَاد " .

اللغة :

اسْتَخَفَّ : حَمَلَهُ على الجَهْلِ والخِفَّة . المَهْلُ : التَّؤُدَة . حَفَزَهُ : حَثَّهُ وأَعْجَلَه . البِدار : الإِسراع . المِرْصاد : المكانُ يُرْقَبُ منهُ العدو .

البيان :

وما رأيتُم في أُفُقِ السماء ، وفي بسيطةِ الأرض ، وتحتَ كلِّ حَجَرٍ ومَدَر ، ما هو إلا لَمْحَةٌ مِنْ عقاب ، ولَحْظَةٌ مِنْ عذاب ، وما أُعِدَّ لكم أيُّها الجُناةُ مِنْ تَقَلُّبٍ في دَرَكاتِ الجحيمِ أَشَدُّ وأَخْزَى ، فذلكَ يومُ الحَسْرَةِ والنَّدامة ، يومَ تَدْعُونَ بالويلِ والثُّبور ، وتُنادُونَ : هل مِنْ شافعٍ أو ناصر ؟ فلا شافعٌ ولا ناصر ، ولا تنفعُكم شفاعةُ الشافعين ، ولا يُؤْذَنُ لكم فتَعْتَذِرُون ، فمَن ينصرُكم من بأسِ اللهِ إذا جاءَكم ؟ ولو كانَ لكم من ناصرٍ فهو على شاكلتِكم ، وقد قالَ اللهُ عنكم وعنهم : ﴿لا يستطيعُونَ نَصْرَكم ولا أَنْفُسَهم ينصِرون﴾ . ﴿لا تَجْأَرُوا [1] اليومَ إنكم منا لا تُنْصَرُون﴾ . ﴿لو يعلمُ الذينَ كفرُوا حينَ لا يكُفُّونَ عن وجوهِهم النارَ ولا هم يُنْصَرُون﴾ ﴿ومأواكمُ النارُ وما لكم مِنْ ناصِرين﴾ .

---

[1] – الجُؤَار : الاستغاثةُ ورفعُ الصوتِ بها .

ولا تَحْسَبُنَّ أنَّ هذا الإمهالَ إهمالاً ، فا للهُ القادِرُ المُهَيْمِنُ لا يُعْجِلُهُ إسراع ، ولا يَسْتَحِثُهُ شيء ، فهو ذو الأناة ، وإنما يَعْجَلُ مَنْ يخافُ الفَوت ، فإنْ مُتِّعْتُم في الدنيا فترةً فإنها لا محالةَ -وإنْ طالتْ- منصرِمة ، وأيُّ دنيا هذهِ التي نِلْتُمُوها ؟ وهو لكم ، بقدرتِهِ وسلطانِه ، وقوةِ أخذِه ﴿إنَّ أَخْذَ ربِّكَ لَشديد﴾ وقد وَقَفَ لكم موقفاً لا بدَّ وأنكم صائِرونَ إليه ، وأنتُم أشَدُّ أعدائِه ، وسترونَ يومَ تقدِمُونَ عليهِ عاقبةَ أمرِكم بما قدَّمَتْ أيديكم ، فأيقِنُوا بشديدِ نَكالِه ، وأليمِ عِقابِه .

كفى يابنة علي :

النص :

" فقالَ لها الإمامُ السجاد (ع) : اسكُتِي يا عمَّة ، فأنتِ -بحمدِ اللهِ- عالِمَةٌ غيرُ مُعَلَّمة ، فَهِمَةٌ غيرُ مُفَهَّمة "

البيان :

استمعَ الإمامُ ﷺ خطابَها الجليل ، وبيانَها لفظاعةِ الحدث ، وبلاغةَ احتجاجِها ، وصادقَ الإنذار ، والإنباءَ بالعواقبِ الوخيمة ، في عاجلِ الدنيا وآجلِ الآخرة ، فرأى أنها -سلامُ اللهِ عليها- قد وفَّتِ المقامَ حقَّه ، وبَرْهَنَتْ على ملكاتِها ومواهبِها ، فكَفَى يابنةَ الكِرام ، عن مواجهةِ اللئام .

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الزهراء عليها السلام

الدرس الخامس ١٦/١٢/١٤١٧هـ

شرح خطبتي السيدة زينب

عناصر الدرس :

الخطبةُ الثانية :

ظروفُها وملابساتُها :

١- أُسَارَى آلِ محمدٍ إلى الشام .

٢- موكبُ الأحزانِ في الشام .

٣- الساعاتُ المريرة .

مفتاحُ الذِّكْر : حَمْدٌ وصلاة .

التعريةُ الفاضحةُ وشؤونُ الحقِّ والحكم .

الخطبـــة الثـانيـــة

ظروفُها وملابساتُها :

١- أسارى آلِ محمدٍ إلى الشام :

وبعدَ شديدِ البلاء ، وبالغِ العَناء ، وشماتةِ الأعداءِ في الكوفة ، أَمَرَ ابنُ زيـادٍ غُتاةَ قومِه ، ومَرَدَةَ جلاوُزَتِه ، بحملِ رأسِ سيدِ الشـهداء ورؤوسِ مَـنْ قُتِـلَ معهُ إلى يزيد " وسَرَّحَ في أَثَرِهِم عليَّ بنَ الحسينِ مغلولةً يديه [*] وعيالُهُ مَعَـهُ ، على حالٍ تَقْشَعِرُّ منها الأبدان ، وكان معهم شمرُ بنُ ذي الجوشن ، ومحفرُ بنُ ثعلبةَ العائدي ، وشِبْثُ بنُ ربعي ، وعمرُو بنُ الحجاجِ وجماعة ، وأَمَـرَهم - أنْ يَلْحَقُوا الرؤوسَ ويُشْهِرُوهم في كلِّ بَلَدٍ يأتونَـه ، فجَـدُّوا السـيرَ حتـى لَحِقُوا بهم في بعضِ المنازل

هذي نساؤُكَ مَنْ يكونُ إذا سَرَتْ ... في الأسرِ سائِقَها ومَـنْ حادِيهـا
أَيَسُوقُها زَجْرٌ بضَـرْبِ مُتُونِهـا ... والشـمرُ يحدُوهـا بسَبِّ أَبيهـا
عَجَباً لَها بـالأمسِ أنـتَ تصونُها ... واليـومَ آلُ أميـةٍ تُبْدِيهـا
وسَرَوا برأسِـكَ في القَنَـا وقلوبُهـا ... تَسْمُو إليكَ ووَجْدُهـا يُضْنِيهـا
إنْ أَخَّـرُوهُ شَـجَاهُ رؤيـةُ حالِهـا ... أَوْ قَدَّمُـوهُ فحالـهُ يُشْـجِيها [1]

---

* كذا في المصدر المنقول عنه والصحيح (يداه) .

[1]- للشاعر الشهير السيد رضا الهندي .

٢- موكبُ الأحزانِ في الشام :

" ولَمَّا قَرُبُوا من دمشقَ أرسلتْ (أُمُّ كلثوم) إلى الشمرِ تسألُهُ أنْ يُدْخِلَهم في دربٍ قليلِ النَّضَارَة ، ويُخْرِجُوا الرؤوسَ من بينَ المحامِلِ لكي يشتغِلَ الناسُ بالنظرِ إلى الرؤوس (وكما جاءَ في بعضِ كتبِ السيرةِ أنَّ السيدةَ زينبَ قالتْ في ذلك : فإنا قد خُزْينا مِنْ كَثْرَةِ النظرِ إلينا) فسَلَكَ على حالةٍ تَقْشَعِرُّ من ذكرِها الأبدان ، وترتعِدُ لها فرائصُ كلِّ إنسان ، وأَمَرَ أنْ يُسْلَكَ بهم بين النُّظَّار ، وأنْ يجعلوا الرؤوسَ وَسَطَ المحامِل" [١]

٣- الساعاتُ المريرة :

أ- "وقد خَرَجَ الناسُ بالدفوفِ والبوقات ، وهم في فرحٍ وسرور ، ودنا رجلٌ من (سكينةَ) وقال : مِنْ أيِّ السبايا أنتم ؟ قالت : نحنُ سبايا آلِ محمد"

ب- وكان يزيدُ في منظرَةٍ على (جيرون) ولَمَّا رأى السبايا والرؤوسَ على أطرافِ الرماح ، وقد أشرَفُوا على ثنيةِ جيرون ، نَعَبَ غرابٌ فأنشأ يزيدُ يقول :

لَمَّا بَدَتْ تلكَ الحمولُ وأَشْرَفَتْ ... تلكَ الرؤوسُ على شَفَا جيرونِ
نَعَبَ الغرابُ فقلتُ قُلْ أو لا تَقُلْ ... فقد اقتضيتُ من الرسولِ ديوني

---

[١] - اقرأ النص والنصوص الآتية في (مقتل الحسين) ص٤٣٠ وما بعدها .

جـ- " ودنا سهلُ بنُ سعدٍ الساعدي من سكينةَ بنتِ الحسين ، وقال : أَلَكِ حاجة ؟ فأَمَرَتْهُ أَنْ يدفعَ لحاملِ الرأسِ شيئاً فيبعِدَهُ عن النساء ، ليشتغِلَ الناسُ بالنظرِ إليهِ ففعلَ (سهل) .

د- مراسيمُ إدخالِ آلِ اللهِ على طاغيةِ الحكم :

" وقبلَ أَنْ يُدْخِلُوهم إلى مجلسِ يزيدَ أَتوهم بحبالٍ فربَّقُوهم بها ، فكانَ الحبلُ في عنقِ زينِ العابدينَ إلى زينبِ أُمِّ كلثوم ، وباقي بناتِ رسولِ اللهِ (ص) وكلما قَصَّرُوا عن المشيِ ضَرَبُوهم ، حتى أوقفُوهم بين يدَي يزيدَ وهو على سريرِه ، فقالَ عليُّ بنُ الحسينِ (ع) : ما ظَنُّكَ برسولِ اللهِ لو يرانا على هذا الحال ؟ فبكى الحاضِرُونَ وأَمَرَ يزيدُ بالحبالِ فقُطِعَت "

هـ- " وأُقِيمُوا على درجِ بابِ الجامعِ حيثُ يُقَامُ السبي ، ووُضِعَ الرأسُ المقدسُ بين يدَي يزيد ، وجعلَ ينظرُ إليهم ويقول :

صَبَرْنا وكانَ الصبرُ منا عزيمةً ... وأسيافُنا يَقْطَرْنَ هاماً ومِعْصَمَا
نُفَلِّقُ هاماً مِنْ رجالٍ أَعَزَّةٍ ... علينا وهم كانوا أَعَقَّ وأَظْلَمَا

ثم التفتَ إلى النعمانِ بنِ بشيرٍ فقال : الحمدُ للهِ الذي قَتَلَه "

وبعدُ فهذهِ صورةٌ حزينة ، ومشاهدُ كئيبةٌ تَبْعَثُ الأسى ، وتَبُثُّ الجَوَى ، وتُثِيرُ الشجنَ والشَّجَى ، ولكنها مهما صَوَّرَتْ وأَحْزَنَتْ فليستْ مُعَبِّرَةً ولا حاكيةً بدقةٍ عمَّا كانتْ عليهِ مأساةُ (أُسَارَى آلِ محمد) وما نَفَذَ في وجودِهم من سهامِ المحنةِ والبلاء .

وهل يَقْوَى مُعَبِّرٌ ، وتَفِي عبارةٌ ، بوصفِ عناءِ السيدةِ زينب ، وقد تقاسَمَتْها الرزايا ، وتسابَقَتْ إليها المصائب ، وغَمَرَتْها الأحزان ، وهي لا تملكُ من عمرِ الشبابِ والقوةِ ما يُعِينُها على تحملِ تلكم الأرزاء .

ولكنَّ (عقيلةَ آلِ محمد) بطلةَ كربلاءَ والكوفة ، هي بطلةُ الشامِ وكلِّ المواقف ، وَقَفَتْ قلعةً شامخة ، وجبلاً أشمَّ ، وقلباً كبيراً ، لا تُضْعِفُهُ الجراح ، ولا تَهُدُّهُ النوائب .

وقَفَتْ وِقْفَةَ أُمِّها العظيمةِ حينَ عَصَفَتْ بها الخطوب ، ووقفاتِ أبيها الأعظمِ في الجملِ وصفينَ والنهروان ، بل في السقيفةِ والشورى وكلِّ الأحداث ، ووقفاتِ شقيقِها الإمامِ سيدِ الشهداءِ في ساحاتِ كربلاء .

وها هي الآنَ وجهاً لوجهٍ مع طاغيةِ الحكمِ يزيدَ بنِ معاويةَ بنِ أبي سفيان ، وفي قصرِ حكمِه ، وحولهُ قوتُهُ ومظاهِرُ سلطانِهِ وعِزِّه ، من قوادِهِ ووُلاتِه ، وساسةِ رعيتِه ، وهو ثَمِلٌ بنصرِهِ وسُكْرِه ، وهو الآنَ في عيدِهِ الزائِف ، وكأنهُ الآنَ فقط عَرَفَ نشوةَ الحكمِ والسلطان ، حيثُ قَتَلَ خَصْمَهُ ومَنْ يخشاه ، وها هم أسرةُ الشهيدِ وبقيةُ آلِه ، أُسَارَى بينَ يديهِ يتحَكَّمُ في رقابِهم وحياتِهم كما يهوى .

هذا وقد أَخَذَ منهُ زَهْوُ الحكمِ مَأْخَذَه ، وسُكْرُ الغَلَبَةِ تفكيرَه ، فتجلتْ آثارُ ذلك خِفَّةً وطيشاً وجهالةً ، وقلةَ حياءٍ ومروقاً من الدين ، بل تَجَرُّداً عن الإنسانيةِ والحدودِ الدنيا من الكرامة .

" دعا بقضيبِ خيزرانٍ فجعلَ يَنْكِتُ به ثنايا الحسين عليه السلام فأقبلَ عليه أبو برزةَ الأسلمي وقال : ويحكَ يا يزيد ، أَتَنْكِتُ بقضيبِكَ ثَغْرَ الحسينِ بنِ

فاطمة ؟ أَشْهَدُ لقد رأيتُ النبيَّ يَرْشِفُ ثناياهُ وثنايا أخيهِ الحسنِ ويقول : أنتُما سيِّدا شبابِ أهلِ الجنة ، فقَتَلَ اللهُ قاتِلَكما ولَعَنَهُ ، وأَعَدَّ لهُ جهنمَ وساءتْ مصيراً ، فغَضِبَ يزيدُ وأمرَ بإخراجِهِ فأُخْرِجَ سحباً ، فجعلَ يزيدُ يتمثلُ بأبياتِ ابنِ الزبعرى :

ليتَ أشياخي ببَدْرٍ شَهِدُوا ... جَزَعَ الخزرجِ مِنْ وَقْعِ الأَسَلْ
فأَهَلُّوا واسْتَهَلُّوا فَرَحَاً ... ثُمَّ قالُوا يا يزيدُ لا تُشَلْ
قد قَتَلْنا القِرْمَ من ساداتِهم ... وعَدَلْناهُ ببدْرٍ فاعْتَدَلْ
لَعِبَتْ هاشمُ بالمُلْكِ فلا ... خبرٌ جاءَ ولا وَحْيٌ نَزَلْ
لستُ مِنْ خندَفَ إنْ لَمْ أَنْتَقِمْ ... مِنْ بني أحمدَ ما كانَ فَعَلْ [1]

أرأيتَ الاستخفافَ والضِّعَةَ والصَّغَارَ والدَّناءَةَ والحُمْق ، أسيرَ هَوَىً وأُلْعُوبَةَ شيطان ؟!

في ذلك المجلس ، وأمامَ طغيانِ الأمويِّ العدوِّ الحاكم ، وذلةِ الأسرِ في قبضةِ الدنيء ، كانَ هذا الموقِفُ العجيب ، في المحفَلِ الرهيب ، من سيدةِ المواقِفِ والبطولات .

---

[1] – وقد ذكرتُ في كتابي (الحسين في موكب الخالدين) ص٣١٢ أنَّ شعرَ ابنِ الزبعرى هو هجاؤه للنبي –صلى الله عليه وآله– يوم كان مشركاً مؤذياً للنبي قولاً وعملاً ، ثم اعتذر للنبي الكريم ، فصفح عنه وقبل عذره في قوله :

إني لمعتذِرٌ إليكَ من الذي ... أسريتُ إذْ أنا في الضلالِ أَهيمُ

أما يزيدُ فيروقُ لهُ تَمَثُّلُهُ في شعرِهِ الكافرِ بشعرِ كافرٍ مثلِه فيقول :

فلقد قضيتُ من النبيِّ ديوني .

مفتاح الذكر : حمد وصلاة :

النص :

" الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، وصلى الله على رسولِهِ وآلِهِ أجمعين "

البيان :

أَلْسِنَةُ أولياءِ الموحِّدِينَ لَهِجَةٌ بحمدِ الله وذكرِه ، كما هي قلوبُهم مُتَيَّمَةٌ بحبِّه ، تحمَدُهُ على السراءِ والضراء ، وفي الشدةِ والرخاء ، فهوَ المحمودُ على كلِّ حال ، وكلَّ آن ، رضيتْ قلوبُها عن ربِّها فيما اختارَهُ لها وأجراهُ عليها ، سيانَ لديها البلاءُ والنَّعْمَاء ، ماداما بعينِ الربِّ وابتلائِه ، ويحملُ الحمدُ شهادةَ الحامِدِ بتوحيدِ ربِّهِ وإفرادِهِ بالحمد ، وذلك عنوانُ ركيزةِ الدينِ الأولى ، كما تحمِلُ صلاةُ الله على رسولِهِ إجلالاً من الجليلِ الأعلى لِمَنْ قَرَنَ اسْمَهُ باسْمِهِ تباركَ وتعالى ، فهي شهادةٌ لهذا العظيمِ بالرسالة ، وهي عنوانُ ركيزةِ الدينِ الثانية ، فالحمدُ والصلاةُ هنا دلالةٌ على الشهادتين ، وبالشهادتينِ معاً تتركبُ بنيةُ الإسلامِ وقوامُ الدين .

(وآلِهِ أجمعين) : وآلُ محمدٍ .. فاطمةُ سيدةُ نساءِ العالمين ، بضعتُهُ ومهجةُ قلبِه ، والحسنُ والحسينُ ابناهُ وريحانتاه ، وعليٌّ أخوهُ وروحُه ، وحمزةُ سيدُ الشهداءِ عمُّه ، وجعفرٌ الطيارُ ابنُ عَمِّه ، فهم ثمارُ شجرتِهِ الطيبةِ وغصونُها المباركة ، شَرَّفَهُمُ اللهُ بنبيِّه ، وأَضافَهم إليهِ وعَطَفَهم عليه ، فلا تَصِحُّ صلاةٌ عليهِ حتى يُصَلَّى عليهم ، وإلا فهي البتراءُ المردودة .

وآلُ محمدٍ وإنِ اشتركُوا في توقيرٍ جامعٍ وتشريفٍ مميز ، إلا أنَّ دَرَجَةَ قربهم مِنْ مُشَرِّفِهم متفاوتة ﴿وأُلو الأرحامِ بعضُهم أولى ببعض﴾ وملكاتُهم

متمايزَة ، ولأهلِ بيتِهِ اختصاصُ التطهيرِ من الرِّجْس ، ولعليٍّ منهم الإمامةُ ومقامُ النفس ، وللحسنينِ البنوةُ والإمامة ، وقد امتدتْ فيهم وراثةُ النبوةِ متمثلةً في الإمامةِ والخلافةِ عن الرسولِ الأكرمِ -صلى الله عليهِ وعليهم وسلم .

وزينبُ (الخطيبةُ) لؤلؤةٌ من هذا العِقْد ، وقطعةٌ من ذلك الجوهر ، فهي فَرْعُ ذياكَ الأصلِ الزاكي ، وثمرةُ تلكم الشجرةُ المباركة .

التعرية الفاضحة وشؤون الحق والحكم :

النص :

" صَدَقَ اللهُ سبحانَهُ حيثُ يقول ﴿ثُمَّ كانَ عَاقِبَةَ الذينَ أَسَاؤُا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بآياتِ اللهِ وكانُوا بها يَسْتَهْزِئون﴾ أَظَنَنْتَ يا يزيدُ حيثُ أَخَذْتَ علينا أقطارَ الأرضِ وآفاقَ السماء ، فأَصْبَحْنا نُسَاقُ كما تُسَاقُ الأُسَارَى ، أَنَّ بنا على اللهِ هَوَاناً ، وبكَ على اللهِ كَرَامة ، وأَنَّ ذلكَ لِعِظَمِ خَطَرِكَ عندَه ، فشَمَخْتَ بأَنْفِك ، ونَظَرْتَ في عِطْفِك ، جَذْلانَ مسروراً ، حينَ رَأَيْتَ الدنيا لكَ مُسْتَوْسِقَة ، والأمورَ مُتَّسِقَة ، وحينَ صَفَا لكَ مُلْكُنَا وسلطانُنا ، فمَهْلاً مَهْلاً ، أَنَسِيتَ قولَ اللهِ تعالى ﴿ولا يَحْسَبَنَّ الذينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خيراً لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمَاً ولَهُمْ عذابٌ مُهِين﴾ "

اللغة :

شَمَخَ : تَكَبَّر . العِطْفُ : الجانب . الجَذَلُ : الفَرَح . استوسَقَ : اجتمَع . اتَّسَقَ : انتظَم .

البيان :

١- المواجهة :

ثُمَّ كانَ عَاقِبَةَ الذينَ أَسَاؤُا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بآياتِ اللهِ ...

تواجهُ (عقيلةُ آلِ محمدٍ) وتجابهُ يزيدَ في صدرِ خطابها بهذهِ الشجاعةِ الهاشمية ، فتَكْشِفُ لهُ ولِمَنْ حولَهُ مِنْ حزبِهِ وللملأ ، أَنَّ ما صَدَرَ منهُ من قولٍ وفعلٍ ، إنما هو حكايةٌ ونتيجةٌ لِمَا هو عليهِ في واقعِهِ وحقيقتِهِ من تَلَبُّسٍ بالآثامِ والجرائم ، أَنْ عادَ جاهِراً بالتكذيبِ بآياتِ الله ، فلا يَسْتَحِي من قبيح ، ولا يَتَأَثَّمُ من مُوبِقَة ، يُقْدِمُ على قتلِ أولياءِ الله ، ويستأصِلُ عترةَ رسولِ الله ، ويستبيحُ المحرمات ، ويتمَادَى في الغَيِّ لا يخشى معاداً ، ولا يخافُ سوءَ الحساب ، مستهزئاً بكلِّ مقدس .

٢- سُكْرُ الملكِ ونَشْوَةُ الانتصار :

أَظَنَنتَ يا يزيدُ حيثُ أَخَذْتَ علينا أقطارَ الأرضِ وآفاقَ السماء ، فأَصْبَحْنا نُساقُ كما تُساقُ الأُسارَى ...

لَمْ أَدْرِ أينَ رجالُ المسلمينَ مَضَوا وكيفَ صارَ يزيدُ فيهِمُ مَلِكَا

يتربعُ يزيدُ على عرشِ الحكم ، والأمةُ الإسلاميةُ تحتَ حكمِهِ وسلطتِهِ ، وبلادُ الإسلامِ الواسعةُ تحتَ قبضتِه ، وقد مَلَكَ كلَّ أمرِها ، وتَحَكَّمَ في

كافةِ شؤونِها ، وقد أخَذَ بالخناقِ على رقابِها ، واشتدتْ نقمتُهُ على الأولياءِ والصلحاءِ الأبرار ، وهم أعداؤُهُ على الحقيقة ، فكان أهَمَّ ما بدأ بهِ سلسلةَ عِدَائِهِ ومناصَبَتِهِ لهم أنْ ألْزَمَ بأخْذِ البيعةِ لهُ من الإمامِ الحسينِ بنِ رسولِ اللهِ خاصة ، فلَمَّا أبى الحسينُ ذلك وخَرَجَ تِلْقَاءَ مكةَ خائفاً يترقب ، أوْفَدَ لهُ مَنْ يقتلُهُ ولو كانَ متعلقاً بأستارِ الكعبة ، ولما هاجَرَ بأهلِهِ وحُرَمِهِ وصُلَحَاءِ الأمةِ الذينَ ما على الأرضِ لهم مثيل ، قتلَهُ وأنصارَهُ القتلةَ الشنيعةَ التي تَمَثَّلَ فيها الحقدُ والدناءةُ والفظاعةُ بأبشعِ صورِها ، ولَمْ يَشْفِ غِلَّهُ ذلك ، بل حَمَلَ رأسَهُ الشريفَ ورؤوسَ أصحابه ، وساقَ من بَقِيَ من نسائِهِ وعيالِهِ أسارى ، وراحَ يَتَشَفَّى من رأسِهِ القطيعِ يَنْكِتُهُ بمخصرتِهِ مُوغِلاً في إذلالِ حُرَمِ اللهِ ورسولِهِ والحرماتِ والمقَدَّسات .

٣- الغَلَبَةُ ليستْ مقياسَ الكرامة :

أنَّ بنا على اللهِ هَوَانَا ، وبكَ على اللهِ كَرَامة ...

حينَ رَأَيتَ الدنيا لكَ مُسْتَوْسِقَة ، والأمورَ مُتَّسِقَة ...

فلا تحسبنَّ يا يزيدُ وأنتَ الحاكمُ المنتصر ، ونحنُ المغلوبونَ المقهورون ، أنَّ ما تَمَّ لك من إحكامِ القبضة ، وبَسْطِ النفوذ ، والتحكمِ في رقابِ العباد وأطرافِ البلاد ، دليلٌ على رفعةِ شأنِكَ وجليلِ مقامِكَ وكرامتِكَ على الله ، ومكانتِك لديه ، فسَهَّلَ لك الأمور ، ومَكَّنَكَ مما أرَدْت ، كلاَّ فالسباعُ الضاريَةُ والوحوشُ الكاسرةُ تقوى على مِثْلِ ذلك .

ولا يدورَنَّ في خَلَدِكَ أنَّ ما مُنِينا بهِ مِـنْ قَتْـلٍ ذريـع ، وأَسْـرٍ شـنيع ، ومحنـةٍ وبلاءٍ دليلٌ على هوانِنا عندَ الله ، كلاَّ فطالَمَا ابْتُلِيَ الأوليـاء ، وقديمـاً قُتِـلَ الأنبياءُ على أيدي فراعنةِ زمانِهم وطواغيتِ عَصْرِهم ، وما كانَ ذلك لِضِعَةِ محلّهم عندَ ربِّهم ورافعِ أقدارِهم ومُفَضِّلِهم على مَنْ سِواهم .

وبعدُ .. فما هذا الحُمْقُ والاستكبارُ والسرور ؟! أهـو الجهـلُ والغبـاء ؟! أم هو خداعُ الذاتِ والتَّصَنُّع ؟! حيثُ رأيتَ الدنيا في قبضتِكَ وقـد اجتمعَـتْ لكَ شؤونُها ، وانتظمَتْ أمورُها فحسبتَ أنّها ملكُكَ وحَقٌّ مِنْ حقوقِك .

٤- النبوةُ والإمامة ... والملكُ العضوض :

وحينَ صَفَا لكَ مُلْكُنا وسلطانُنا ...

وقد بَعَثَ الله محمداً خيرةَ الخلقِ من بـني هاشـم ، ورسـولاً للخلـقِ كافـةً ، خاتِمَاً به النبـوات ، فصَـدَعَ وبلَّـغَ وأقـامَ الإسـلامَ وبنـى الدولـة ، وأرسـى دعائِمَ الدينِ بإحْكَامِ أمرِ الإمامةِ والخلافةِ في صفوةِ عترتِهِ وأهلِ بيته ، فعلـيٌّ إمامٌ ووَصِيٌّ ووارِث ، ومِـنْ بعـدِهِ ابنـاهُ وسـبطا رسـولِ الله الإمـامُ الحسـنُ فالإمامُ الحسين ، ولكنْ ما آذَنَتْ شمسُ النبـوةِ بـالغروبِ حتـى أَظْلَـمَ الأُفُـقُ وأَغْتَمَ لفترةٍ عصيبة ، ثم انْفَلَقَ عَمُـودُ الصبـحِ بعـودةِ الإمامـةِ والخلافـةِ إلى صاحبِها الجديرِ بها ، ورَجَعَ الحقُّ المُغْتَصَبُ إلى أهلِه ، فمـارسَ الإمـامُ علـيٌّ دورَهُ ومهماتِه ، ولكنَّ الدهرَ أبى أنْ يصافِيَه ، فكما ابْتُلِـيَ بمَـنْ سَبَقَهُ مـن رموزِ السقيفةِ والشـورى ، فقـد ابْتُلِـيَ بمَـنْ تلاهـم مـن رمـوزِ (الجمـل) و (صفينَ) ومعاويةَ خاصة ، وتلك الفتنِ والمِحَن ، إلى أنْ مضـى علـيٌّ إلى ربِّـهِ

شهيداً ، وبقيَ معاويةُ يستوفي ديونَهُ من نبيِّ الأمةِ ومن سبطِهِ الحسنِ حتى جَرَّعَهُ السموم ، وأوْغَلَ معاويةُ في البغي ، فحَكَّمَ في الأمةِ الإسلاميةِ ابْنَهُ يزيد ، فلَمْ يُبْقِ حُرْمَةً للهِ إلاّ انتَهَكَها ، حتى استأصَلَ شجرةَ النبوةِ والإمامة ، وأبادَ عترةَ المصطفى ، فقتلَ الإمامَ الحسينَ أفْظَعَ قتلة ، وتَبَدَّلَتِ الإمامةُ بالملكِ العضوض .

ومن حديثِ عليٍّ عليه السلام في مثلِ هذه الكوارثِ ، وقد مَرَّ على جماعةٍ من أهلِ الشامِ بصفينَ منهم الوليدُ بنُ عقبة ، وهم يشتمونَهُ فأُخْبِرَ بذلك ، فوَقَفَ على ناسٍ من أصحابِهِ فمما قال فيهم : ((انْهَدُوا إليهم وعليكم السكينةُ والوَقارُ وسِيماءُ الصالحين ، أَقْرِبْ بقومٍ من الجهلِ قائدُهم ومؤدِّبُهم معاويةُ وابنُ النابغةِ وأبو الأعورِ وابنُ أبي مَعيط ، شاربُ الحرامِ والمحدودُ في الإسلام ، وهم أُلاءِ يقصبونني ويشتمونني ، وقَبْلَ اليومِ ما قاتلوني وشتموني وأنا إذْ ذاكَ أدعوهم إلى الإسلام ، وهم يدعونني إلى عبادةِ الأصنام ، فالحمدُ للهِ ولا إلهِ إلا الله ، لَقَديماً ما عاداني الفاسقون ، إنَّ هذا لَهُو الخطبُ الجَلَل ، إنَّ فُسَّاقاً كانوا عندنا غيرَ مرضيين ، وعلى الإسلامِ وأهلِهِ مُتَخَوَّفِين ، أصبحوا وقد خَدَعُوا شطرَ هذهِ الأمة ، وأُشْرِبُوا في قلوبِهِم حبَّ الفتنة ، واستمالوا أهواءَهم بالإفْكِ والبهتان ، وجَدُّوا في إطفاءِ نورِ الله ، والله مُتِمُّ نورِهِ ولو كَرِهَ الكافرون)) [1]

---

[1] – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥٤/٨ .

ويقولُ ابنُ أبي الحديد في هذا المعنى :

"وهذا أعجبُ من العجبِ أنْ يجاهِدَ النبيُّ ﷺ قوماً بسيفِهِ ولسانِهِ ثلاثاً وعشرينَ سنةً ويَلْعَنُهم ويُبْعِدُهم عنه ، ويَنْزُلُ القرآنُ بذَمِّهم ولَعْنِهم والبراءةِ منهم ، فلَمَّا تَمَهَّدَتْ لهُ الدولةُ وغَلَبَ الدينُ على الدنيا ، وصارتْ شريعةً دينيةً مُحْكَمَة ، ماتَ فشيَّدَ دينَهُ الصالحونَ من أصحابِهِ وأَوْسَعُوا رُقْعَةَ ملتِه ، وعَظُمَ قدرُها في النفوس ، فتسلَّمَها منهم أولئكَ الأعداءُ الذين جاهَدَهم النبيُّ ﷺ فمَلَكُوها وحَكَمُوا فيها وقَتَلُوا الصلحاءَ والأبرارَ وأَقَارِبَ نبيِّهِمُ الذي يُظْهِرُونَ طاعتَه ، وآلَتْ تلكَ الحركةُ الأولى وذلك الاجتهادُ السابقُ إلى أنْ كانَ ثمرتُهُ لهم ، فليتَهُ كان يُبْعَثُ فيرى معاويةَ الطليقَ وابنَهُ ومروانَ وابنَهُ خلفاءَ في مقامِهِ يحكمونَ على المسلمين" [1]

٥- الإمهالُ والإملاء :

ولا يَحْسَبَنَّ الذينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خيراً لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ولَهُمْ عذابٌ مُهِين

ولَئِنْ صِرْتَ حاكماً مطلَقاً لا تقِفُ دونَ مُرَامِكَ الحدودُ والسدود ، فخُيِّلَ إليكَ أنك الحاكمُ الحقُّ فاعْلَمْ أَنَّكَ مغرورٌ مخدوع ، وأَنَّ اللهَ لكَ بالمرصاد ، وإنما هو الإمهالُ وليس الإهمال ، فقد مَلَكَ الظالمونَ السابقونَ أكثرَ منك ، وأَكْثَرُوا الفسادَ كما أكثرت ، وأَمْهَلَهُمُ المنتقِمُ الجبار ، ثُمَّ أَخَذَهُمْ أَخْذَ عزيزٍ مُقْتَدِر .

---

[1] – شرح نهج البلاغة ١٨/٦٤ ملخصاً .

وما شأنُكَ إلاّ كَشَأْنِ مَنْ عَنَاهُمُ اللهُ من الكفارِ الذين لَـمْ يُبَـادَرُوا بـالعذابِ ﴿ولا يَحْسَبَنَّ الذينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خيراً لأَنْفُسِـهِمْ إِنَّمَـا نُمْلِـي لَهُـمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمَاً ولَهُمْ عذابٌ مُهِين﴾ .

فلو عَلِمَ أولئكَ وعَلِمْتَ أَنَّ هذا الإمهالَ عنوانُ الشقاءِ والإغراقُ في التردي في الآثامِ على كثرتِها وعِظَمِها ، وما تؤولُ إليه أَشَدُّ وأخزى ، مـن العـذابِ المهينِ والإذلال ، لَمَا تَمَنَّى أَحَدٌ منكم أَنْ مَلَـكَ آنـاً أَوْ حَكَـمَ لحظـة ، فقـد ذَهَبَتِ اللذةُ الكاذبة ، وبَقِيَتِ التَّبِعَةُ الدائمةُ الثقيلة .

هذا والعقوبةُ على وفقِ الجُرْم ، وما أَفْظَعَ الجُرْمَ وأَشْـنَعَ الخطيئـةَ باغتصـابِ الخلافة ، وقتلِ سيدِ العترةِ النبوية ، وسَبْيِ حرائرِ الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الزهراء عليها السلام

الدرس السادس ٢٣/١٢/١٤١٧هـ

شرح خطبتي السيدة زينب

عناصر الدرس :

هَتْكُ الطليقِ حجابَ الصَّون .

يزيدُ بينَ التربيةِ والوراثة .

الأفعالُ المنكَرَةُ دليلُ الحقدِ الدفين .

دعوةُ المظلومِ الواثق .

جنايةُ الحاكمِ الأحمقِ على نفسِهِ .

محكمةُ العدلِ الإلهية .

تحت الطليق حجاب الصون :

النص :

" أَمِنَ العَدْلِ يابنَ الطُّلَقَاء تخديرُكَ حرائرَكَ وإماءَك ، وسَوقُكَ بناتِ رسولِ اللهِ سبايا ، قد هَتَكْتَ سُتُورَهُن ، وأَبْدَيْتَ وجُوهَهُن ، تحدُو بهِنَّ الأعداءُ مِنْ بَلَدٍ إلى بَلَد ، ويَسْتَشرِفُهُنَّ أهلُ المناهِلِ والمناقِل ، ويَتَصَفَّحُ وجُوهَهُنَّ القريبُ والبعيد ، والدنيءُ والشريف ، ليس معهُنَّ مِنْ حُمَاتِهِنَّ حَمِي ، ولا مِنْ رجالِهِنَّ ولي "

اللغة :

حَدَا : ساقَ سَوقاً شديداً . استشرفَ : رفعَ بَصَرَهُ ونَظَر . المَنْهَلُ : المنزل الذي في المفاوز على طريق السفّار . المَنْقَلُ : الطريقُ في الجبل ، والمنقلة : المرحلةُ من مراحلِ السفر .

البيان :

وما أَمْهَلَتْهُ بطلةُ النهضةِ الحسينيةِ يُرُدُّ أنفاسَه ، ويتماسَكُ من هولِ الصدمةِ الأولى حتى أَرْدَتْهُ مِنْ شاهق ، محطِّمةً كبرياءَهُ وتفاخُرَه ، مستخدمةً في ذلك كلمةً ذاتَ مدلولٍ عميق ، وإنَّ وَقْعَها لأَشَدُّ من وَقْعِ الحسامِ على الهام ، تلك الكلمةُ الصاعقةُ المعبرةُ هي :

(يابنَ الطلقاء) : فلْيَعْلَمْ مَنْ حضرَ ولْتَعْلَمِ الأمةُ أنَّ حاكمَها وسائِسَ أمرِها سلالةُ الطلقاء ، و (الطُّلَقَاء) هم مَنْ قد مَنَّ عليهم جدُّها رسولُ اللهِ ﷺ يومَ فَتْحِ مكة ، وقد مَلَكَ رقابَهم ودماءَهم فتعالى الرسولُ الكريمُ عن دناياهم وأَطْلَقَ لهم أنفسَهم ووهَبَهُمُ الحياة .

وقد كانَ جدُّهُ شيخُ الأمويينَ (أبو سفيان) وجدَّتُهُ (هند) وأبوه (معاوية) مِنْ أبرزِ الطلقاءِ المُعْتَقِين .

وها هو سليلُهم اليومَ وبعدما هَزُلَتِ المقاييس ، واستامَ الخلافةَ المفاليس ، يُقَابِلُ الإحسانَ والإنعامَ بالإساءةِ والكفران ، والظلمِ والعدوان .

أجل .. ليس ببِدْعٍ ولا بغريبٍ مِنْ وارِثِ الطلقاءِ أنْ لا يَعْدِل ، فإنَّ مِثْلَ تلكمُ الذواتِ تأبى العَدْلَ بطَبْعِها ، وإنما فُطِرَتْ على ذلك نفوسُ الكرام

مَلَكْنَا فكانَ العَفْوُ منا سَجِيَّةً ... ولَمَّا مَلَكْتُمْ سالَ بالدَّمِ أَبْطُحُ
وحَسْبُكُمُ هذا التَّفَاوُتُ بيننا ... فكلٌّ إناءٍ بالذي فيهِ يَنْضَحُ [1]

ويا لِريبِ الدهور .. فمتى كانتْ بناتُ الطلقاءِ تسكنُ القصورَ وتتربَّعُ على الأرائِك ، ويلَفُّها الصَّونُ والحِجاب ، وهي المتبرجةُ تبرجَ الجاهليةِ الأولى ، وما هي عليهِ الآنَ لَمْ يكنْ سِرُّهُ الدينَ والحياء ، كلاَّ فلم يَعْرِفِ الدينُ والحياءُ لهما موطناً في مباءَةِ الشرِّ والفساد ، ولو كانتْ ثَمَّةَ ذَرَّةٌ مِنْ شرفٍ أو قطرةٌ من حياءٍ لَمَا جَمَعَ سليلُ الطلقاءِ بين شنيعِ القتلةِ والمُثْلَةِ بأفلاذِ رسولِ الله ، وبينَ الإذلالِ والتشهيرِ لحرائرِ النبوةِ وكرائِمِ الوحي ، وبهذا الأسلوبِ الهمجيِّ الأهوجِ كما وَصَفَتْهُ مَنْ عاشتْ محنتَهُ وتمنتِ الموتَ دونَه.

---

[1] – يلاحظ : (الحسين في موكب الخالدين) ص٣١٤ ، فقد ذكرتُ فيهِ رأيَ الرازي في تفسيرِهِ وتحليلِهِ لِـ (الطلقاء) وأنَّ ذلك تشبيهٌ لهم بالنساء ، ووجوهَ الشبهِ في ذلك ، كما ذكرتُ ما يتعلقُ بأبياتِ ابنِ الصيفي المعروفِ بِـ (حيص بيص) .

أَتُسَاقُ عترةُ رسولِ اللهِ سبايا ؟! أَتَبْلُغُ الدناءةُ أَنْ تُوكَلَ إلى أعدائِها فيعبُرُونَ بها بلداً بعد بلد من ديارِ الإسلامِ والمسلمين .. وقفارِهم ومواردِ شربِهم ؟! أَيَبْلُغُ الشرُّ بالبشر –وأستغفرُ اللهَ فهـؤلاءِ شرٌّ لا بشـر– أَنْ يعمَدَ الحاكمُ القاهِرُ إلى ثواكِلَ وأيتامٍ قد أفنى حماتَهـا وأبادَ سراةَ قومِهـا وهُـنَّ عشـرونَ امرأةً ليس معَهُنَّ إلاَّ مَنْ أَنْهَكَتْهُ العلةُ وأَجْهَدَتْهُ أغلالُهُ وقيودُهُ فهو لِمَـا بـه ، أو صبيٌّ هو للموتِ أقربُ منهُ إلى الحياة ، يَعْمَدُ إلى هـؤلاءِ وهُـنَّ في رُزْئِهُـنَّ الدائِمِ فيعرِضُهُنَّ أَسَارَى من (كربلاءَ) موطنِ المجزرةِ الرهيبةِ إلى (الكوفةِ) و (دمشقَ) مركزِ الحكـمِ والشـماتةِ مـن العـراقِ إلى الشـام ، فتمتلِـيءُ نفسُـهُ تَشَفِّيَاً ، ويمتلِكُهُ الزَّهْوُ ، وتَأْسِرُهُ الخُيَلاء .

يزيد بين التربية والوراثة :

النص :

"وكيفَ يُرْتَجَى مراقبةُ مَنْ لَفَظَ فُوهُ أكبادَ الأزكياء ، ونَبَتَ لحمُهُ مِـنْ دمـاءِ الشهداء ، وكيفَ يُسْتَبْطَأُ في بغضِنا –أهلَ البيتِ– مَـنْ نَظَـرَ إلينـا بالشَّـنَفِ والشَّنَآن ، والإِحَنِ والأَضْغَان"

اللغة :

الشَّنَفُ : البُغْضُ والتَّنكُّر . الإِحَنُ : الحِقْد .

البيان :

ويتَّسِمُ الخطابُ بأهميـةٍ خاصـةٍ حينمـا تكتنِفُـهُ ظروفُـهُ الموضوعيـة ، وبطلـةُ المواقفِ في خطابِها البليغِ تَتَخَيَّرُ الأَوْقَعَ في مثلِ هذهِ المحاكمةِ والمجابَهَةِ العلنية

، فتارةً تواجه (أَظَنَنْتَ يا يزيد ، يابنَ الطلقاء) وأخرى تُعَرِّضُ كأنّها تحلّلُ شخصيةَ غائب (وكيفَ يُرْتَجَى مراقبةُ مَنْ) .

والجرأةُ والتحطيمُ أنْ تَعْمَدَ في مثلِ هذا المجلسِ إلى تحليلِ شخصيةِ الحاكمِ واسترجاعِ تأريخِهِ الأسودِ -بحضورِه- والتركيزِ على ركيزةِ الالتقاءِ بين الوارثِ والمورُوث .

أجل .. إنَّ يزيدَ لا يُرْجَى منهُ ولا يُتَوَقَّعُ أَنْ يصنعَ غيرَ ما صنع ، فلقد تربى وترعرعَ على لحمِ ودَمِ أُمِّهِ هند التي تَغَذَّتْ على لحومِ وأكبادِ الأزكياءِ والشهداء .

ولمعرفةِ عراقةِ ذلكمُ الحضنِ في الإجرام ، والتجردِ من الإنسانية ، تَأَمَّلْ في هذهِ الصورة :

"ولَمَّا عَلِمَتْ هندُ بقَتْلِهِ (حمزة) لَمْ يَشْفِها ذلكَ وانطلقَتْ هي والنسوةُ اللواتي معها يُمَثِّلْنَ بالقتلى من المسلمين ، يَجْدَعْنَ الآذانَ والأنوف ، ويَقْطَعْنَ الأيديَ والأرْجُل ، وجعلتْ هندُ لنفسِها ولِمَنْ معَها من آذانِ الرجالِ وأنوفِهم قلائدَ وأقراطاً ، ثم جاءتْ إلى الحمزةِ فبَقَرَتْ بطنَه ، وجَذَبَتْ بيدَيها كَبِدَه ، وقَطَعَتْ منها قطعةً ووَضَعَتْها في فَمِها وجعلتْ تلُوكُها بأسنانِها ولكنْ لَمْ تستطعْ أَنْ تبتَلِعَها "

" فشقَّتْ بطنَهُ وقطعت ... أَنْفَهُ وأُذُنَيهِ ثم جعلتْ ذلك مِسْكَتَينِ ومِعْضَدَينِ وأخذتْ كبدَهُ معَها إلى مكة " " وجاءَ أبو سفيانَ بنُ حربٍ إلى الحمزةِ (ع) وهو بتلك الحالةِ فلَمْ يَكْتَفِ بما فعلَتْهُ زوجتُهُ بل طعَنَهُ في شِدْقِهِ [1] كما نَصَّ

---

[1] – الشِّدْقُ : زاويةُ الفَمِ من جانبِ الخدين .

على ذلك الطبري وغيرُه ، فمَرَّ عليهِ الحليسُ بنُ زيانَ أخو بني الحارثِ بنِ عبدِ مَنَاة وهو يومئذٍ سيدُ الأحابيش ، وهو يضربُ في شِدْقِهِ برأسِ الرمحِ ويقول : ذُقْ عقق ، فقالَ الحليسُ يا بني كنانةَ هذا سيدُ قريشٍ يصنعُ بابنِ عمِّهِ كما ترون ، فقالَ أبو سفيان : اكْتُمْها عليَّ فلقد كانتْ زلة " [1]

وقد عرضَ السيدُ العسكري لأكثرَ مما ذُكِر ، وأوردَ أشعارَ هندٍ في ذلك ، ومما قالَتْهُ وقد عَلَتْ على صخرةٍ مُشْرِفَةٍ فصَرَخَتْ بأعلى صوتِها فقالت :

نحنُ جزيناكم بيومِ بدرِ ... والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سعرِ
ما كانَ عن عتبةَ لي مِنْ صبرِ ... ولا أخي وعمِّهِ وبكري
شفيتُ نفسي وقضيتُ نذري ... شفيتَ وحشيُّ غليلَ صدري

فأجابَتْها هندُ بنتُ أثاثةَ بنِ عبَّادِ بنِ المطلب ، فقالت :

خُزِيتِ في بدرٍ وغيرِ بدرِ ... يا بنتَ وقَّاعَ عظيمِ الكفرِ
صبَّحَكِ اللهُ غداةَ الفجرِ ... بالهاشميينَ الطوالِ الزهرِ
بكلِّ قطَّاعٍ حسامٍ يفري ... حمزةُ ليثي وعليُّ صقري
ونذرُكِ السوءُ فشرُّ نذرِ

وقالت هند أيضاً :

شفيتُ من حمزةَ نفسي بأُحُدْ ... حينَ بقرتُ بطنَهُ عنَ الكَبِدْ
أَذْهَبَ عني ذاكَ ما كنتُ أَجِدْ ... من لذعةِ الحزنِ الشديدِ المتَّقِدْ

---

[1] – سيرة المصطفى /٤١٦ .

وقد أوردَ ابنُ هشامٍ نَيْفاً وثلاثينَ قصيدةً للمشركينَ والمسلمينَ فيها وَصْفُ هذهِ الواقعةِ وذِكْرُ أبي سفيانَ وما فعلَتْهُ هند . [1]

أجل .. وهل تَلِدُ الحيةُ إلا حية ، وهل يليقُ بابنِ هندٍ وابنِ معاويةَ وأبي سفيانَ أنْ يفعلَ غيرَ ما فعل (والذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلا نَكِداً) .

وعِدَاءُ بني أميةَ لبني هاشمٍ قديم ، وبينَ القبيلتينِ ما لا تَبْرُكُ على مثلِهِ الإبل ، وهي عداوةُ الباطلِ للحق ، ومُضَادَّةُ الظلامِ للنور ، والكفرِ للإسلام ، فهم قومٌ على مَرِّ الزمانِ مختلفونَ في الجاهليةِ والإسلام ، وقد تجلى ذلك في تأريخِ الإسلام بما لا حاجةَ معهُ إلى إيرادِ دليلٍ وإقامةِ برهان .

الأفعال المنكرة دليل الحقد الدفين :

النص :

" ثم تقولُ غيرَ مُتَأَثِّمٍ ولا مُسْتَعْظِمٍ :

لأَهَلُّوا واسْتَهَلُّوا فَرَحاً ثُمَّ قالُوا يا يزيدُ لا تُشَلْ

مُنْحَنِيَاً على ثنايا أبي عبدِا للهِ سيدِ شبابِ أهلِ الجنةِ تَنْكِتُها بِمِخْصَرَتِك ، وكيفَ لا تقولُ ذلك وقد نَكَأْتَ القُرْحَة ، واستَأْصَلْتَ الشأْفَةَ بإراقتِكَ دماءَ ذريةِ محمدٍ –صلى ا للهُ عليهِ وآلِه– ونجومِ الأرضِ مِنْ آلِ عبدِالمطلب ،

---

[1] – أحاديث أم المؤمنين عائشة ، ص٢١٥–٢٢١ ملخصاً .

وتهتِفُ بأشياخِكَ زَعَمْتَ أنّكَ تُنَادِيهم ، فلَتَرِدَنّ وَشِيكاً مَوْرِدَهم ، ولَتَـوَدَنّ أنّكَ شَلَلْتَ وبَكُمْتَ ولَمْ تكُنْ قُلْتَ ما قُلْتَ وفَعَلْتَ ما فَعَلْتَ "

اللغة :

نَكَتَ : ضَرَبَ بقضيبٍ فأثّرَ طَرَفُه . المِخْصَرَةُ : كالسوطِ والعَصَى . نَكَأَ : قشرَ القرحةَ قبلَ أنْ تَبْرَأَ وكَثّرَ جِراحَها . الشأفَةُ : قُرْحَةٌ تخرجُ في أسفلِ القدمِ فتُكْوَى وتذهب ، وإذا قُطِعَتْ ماتَ صاحبُها .

البيان :

وقد دَلّلْتَ يا يزيدُ على بالغِ حَنَقِكَ وبُغْضِك ، بما تمادَيْتَ فيه من تَشَفّيك ، فأقوالُكَ وأفعالُكَ تنبعِثُ من باطِنِكَ الخبيثِ المملوءِ عداوةً لمحمدٍ وآلِه ، فها أنتَ تنادي بأسلافِكَ قائلاً : فلقد قضيتُ من النبيِّ ديوني ، فقُرُّوا عيناً وطِيبُوا نفساً فقد ثَأَرْتُ لكم واستوفَيت ، وما كانَ يشفِي غِلّكَ وغليلَكَ ما صُنِعَ بالحسينِ حتى عَدَوْتَ على رأسِهِ الشريفِ ، وحولَهُ يتاماهُ وبقيةُ أهلِه ، فغَدَوتَ تُوسِعُهُ ضرباً على ثناياهُ بما في يدِكَ من سوطٍ أو عصى ، وليس هذا الفعلُ الشنيعُ منك بغريبٍ بعد أنِ اقْتَرَفْتَ ما اقْتَرَفْت ، ولا هذا القولُ منك بغريبٍ بعد ما ارتكبتَ ما ارتكبت ، فقد أفْرَغْتَ يومَ الطفِّ كلَّ عِدائِكَ للنبيِّ وسلالتِه ، فاجْتَثَثْتَ شجرةَ النبوة ، وأبَدْتَ العترةَ شرَّ إبادة ، فأرَقْتَ دماءَها ، وقتلتَها عطشاً ، وأوْطَأْتَ الخيلَ صدرَها ونحرَها ، وهم سادةُ الأمم ، وشَرَفُ العالَم ، بقيةُ النبوةِ المُسْتَخْلَفَةُ على الأمة ، مصابيحُ الدجى وأعلامُ الهدى ، فأنتَ كأشياخِكَ وأسلافِكَ في حربِكم لرسولِ اللهِ ودينِ الله ، فهي ثاراتُ بدرٍ وأحد ، وللبنينَ تُورِّثُ الآباءُ .

أجل .. إنَّ سيفَ الإسلامِ أَوْرَدَ أشياخَكَ النار ، فبِئْسَ الوِرْدُ المورُود ، ولِتَعْلَمْ أنكَ على الأثَرِ صائرٌ إليهم ، فما أَسْرَعَ لحاقَكَ بهم واجتماعَكَ معهم ، وستَقْدِمُ على ما قَدَّمْتَ من قولٍ وفعل ، وتَوَدُّ آنذاكَ أنَّكَ شَلُلْتَ فلم تمتدَّ يدُكَ لتنالَ من ثغرِ الحسين ، وأنكَ بَكُمْتَ فلم تَبُحْ بالكفر ، فلا يَغُرَّنَّكَ الحُكْمُ والقدرةُ والنصرُ العاجل .. إنَّ رَبَّكَ لبالمِرْصَاد .. وما رَبُّكَ من الظالمينَ ببعيد .

دعوة المظلوم الواثق :

" اللهمَّ خُذْ لنا بحَقِّنا ، وانْتَقِمْ مِمَّنْ ظَلَمَنا ، وأَحْلِلْ غَضَبَكَ بِمَنْ سَفَكَ دماءَنا ، وقَتَلَ حُمَاتَنا "

البيان :

تَضَرُّعٌ إلى الله تعالى ، وشِكَايةٌ إلى القادرِ المنتَقِم ، ودعوةُ مَنْ هو على بينةٍ مِنْ أمرِه ، فلآلِ محمدٍ خلافةٌ قد اغْتُصِبَتْ ، وحريمٌ أُبيح ، ودماءٌ أُريقَت ، وحقوقٌ أُضيعَت ، وظُلامات ، وأنتَ الله العزيزُ الجبار ، تحكُمُ بين عبادِكَ وتأخُذُ للمظلومِ حَقَّهُ مِمَّنْ ظَلَمَهُ واعتدَى عليه ، فأَنْزِلْ بهِم يا عَدْلُ يا قاهرُ نِقْمَتَك ، وصُبَّ عليهِم سِياطَ عذابِك ، وخُذْهم أَخْذَ عزيزٍ مقتَدِر .

جناية الحاكم الأحمق على نفسه :

النص :

" فوا للهِ ما فَرَيْتَ إلاّ جِلْدَك ، ولا حَزَزْتَ إلاّ لَحْمَك "

البيان :

وغايةُ الحمقِ والجهلِ أنْ يسعَى المرءُ إلى فناءِ نفسِه ، ويُودِي بحياتِه ، فيما يحسبُ أنّهُ قد أَحْسَنَ إليها ، وأيُّ عاقلٍ يُوغِلُ في إشقاءِ ذاتِهِ وإيصالِها إلى البلاءِ الدائم ، خزيُ الدنيا وعارُها ، وعذابُ الآخرةِ ونارُها .

ويزيدُ في جهلِه ، وهو يحسبُ أنهُ قَتَلَ وسَلَبَ وسَبَى ومَلَكَ واسْتَبَد ، فهو المنتقِمُ مِنْ عدوِّه ، المُسْتَوفي مِنْ خصمِه ، فلْتَنْتَعِشْ أحلامُهُ بذلك ، ولكنهُ لو كان يملِكُ ذرةً من عقلٍ لَعَرَفَ أنهُ جَرَّ على نفسِهَ التعاسةَ والشقاء ، وأنهُ أَجْهَزَ على وجودِه ، فأَزْهَقَ حياتَهُ واستأصلَ بقاءَه ، مُرْتَكِباً في ذلكَ أفظعَ الحماقات ، والجاهلُ عدوُّ نفسِه .

محكمة العدل الإلهية :

النص :

" ولَتَرِدَنَّ وَشِيكاً على رسولِ اللهِ -صلى الله عليهِ وآلِه- بما تَحَمَّلْتَ مِنْ سَفْكِ دماءِ ذريتِه ، وانتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ في عِتْرَتِه ، حيثُ يجمعُ اللهُ شَمْلَهم ، ويَلُمُّ شَعَثَهم ويَأْخُذُ بحقِّهم (ولا تَحْسَبَنَّ الذينَ قُتِلُوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بَلْ أحياءٌ عندَ ربِّهِمْ يُرْزَقُون) وحسبُكَ باللهِ حاكماً ، وبمحمدٍ -صلى الله عليهِ وآلِهِ خصيماً ، وبجبرئيلَ ظهيراً "

البيان :

ثم عَطَفَتِ السيدةُ الجليلة ، والعالمةُ العقيلة ، نظرَها إلى إثارةِ مسألةٍ هامةٍ جداً ، ألا وهي التذكيرُ بالعَرْضِ على رسولِ الله ﷺ ﴿يومئذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى منكم خافية ۞ ... وأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابَهُ بشِمْالِهِ فيقولُ يا ليتني لَمْ أُوتَ كتابِيَه ۞ ولَمْ أَدْرِ ما حسابِيَه ۞ يا ليتَها كانتِ القاضية ۞ ما أَغْنَى عني مالِيَه ۞ هَلَكَ عني سلطانِيَه ۞ خُذُوهُ فغُلُّوه ۞ ثُمَّ الجحيمَ صَلُّوه ۞ ثُمَّ في سلسلةٍ ذَرْعُها سبعونَ ذراعاً فاسلُكُوه ۞ إنهُ كانَ لا يؤمِنُ بالله العظيم ۞ ولا يَحُضُّ على طعامِ المِسكين ۞ فليسَ لهُ اليومَ ها هُنا حميم ۞ ولا طعامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِين ۞ لا يأكُلُهُ إلاَّ الخاطِئُون ﴾ .

وكتابُهُ الأسودُ جرائمُ وآثامٌ واقترافُ عظائِم ، وأيُّ جريمةٍ أفظعُ مما صَنَعَ الحاقدُ اللئيم ، فلَمْ يُبْقِ سيفُ أحقادِهِ رضيعاً ولا صبياً ولا شاباً ولا كهلاً ولا شيخاً ، ولم يُبْقِ لَهَبُ نارِهِ خِباءَ ولا رداء ، وأَذَلَّ بخيلائِهِ الكرامَ الأَعِزَّاء.

والسيدةُ جَنَحَتْ إلى هذهِ الإثارةِ رُغْمَ وُثُوقِها بأَنَّ يزيدَ قد سَلَبَ سُكْرُهُ عقلَه ، فما تُغْنِي الآياتُ ولا تنفعُ النُّذُر ، وإنما يَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى ، رغبةً منها عليها السلام في كشفِ خطورةِ الموقفِ أمامَ الملأ ، فلعلَّ فيهم مَنْ تَنفَعُهُ الذِّكْرَى بأَنَّ حاكمَهم المستبدَّ قد ارتكبَ ما ارتكبَ وأَنَّهُ لا محالةَ مُلاقٍ رسولَ الله ، حاملاً أوزارَهُ وكبائرَ مُوبِقَاتِه ، هذا ومحمدٌ قد حَفَّتْ بهِ أفلاذُ كَبِدِه ، ودارتْ حولَهُ عَصَبَتُه " ولن تَشُذَّ عن رسولِ الله لُحْمَتُه ، بل هي مجموعةٌ

لهُ في حضيرةِ القُدْس ، تَقَرُّ بهِم عينُه ، ويَنْجُزُ بهِم وَعْـدُه " ويتولى الدفاعَ عنهم والأخذَ بحقّهم .

ولا تحسبنَّ أيها الأحمقُ أنَّ مَنِ استأصَلْتَهم قُبِرُوا ومَضَوا وبَقِيتَ حاكِمَاً قائِماً ، فتلكَ كواذِبُ الأحلام ، وخُـدَعُ الأيـام ، بـل أنـتَ الميـتُ وهـم الأحيـاءُ الخالِدُون ، كيفَ وقد ضَمِنَ لهم خالقُ الموتِ والحياةِ خلـودَ الذِّكْـرِ والبقـاءَ في الضمائرِ الحية ، تنتعِشُ باسـتعادةِ أمجـادِهم القلـوبُ ، وتَرْتَعِـشُ بتسـطيرِ أخبارِهم الأقلامُ ، ويَتَغَنّى بملاحِمِهم الشعراءُ ، ويهزُّ ذكرُهم المنـابرَ ، فلهـم الحياةُ كلُّ الحياة ، ولهم نعيمُهم الخاصُّ عندَ ربِّهـم الـذي بذَلُـوا أَنْفُسَـهم في سبيلِه ، فقَبِلَ تَقَرُّبَهم وقرابينَهم فمَجَّدَهم في قرآنِهِ بآياتٍ تُتْلَـى مَـرَّ الدهـورِ والعُصُور ، حاكيةً التخليدَ الإلهي ، مُعْلِنَـةً الضمـانَ الربـاني ﴿ولا تَحْسَـبَنَّ الذين قُتِلُوا في سبيلِ اللهِ أمواتاً بل أحياءٌ عندَ ربِّهم يُرْزَقُـون ۞ فَرِحِـينَ بمـا آتاهُمُ اللهُ مِنْ فضلِهِ ويَسْتَبْشِرُونَ بـالذينَ لَـمْ يَلْحَقُـوا بهِـم مِـنْ خَلْفِهِـم أَلاَّ خوفٌ عليهِم ولا هم يَحْزَنُون ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وفضلٍ وأَنَّ اللهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ المؤمنين﴾ . (آل عمران ١٦٩-١٧١)

قُبِرُوا وقُمْتَ على الزمانِ مُخَلَّـداً ... لك يا حسينُ بكلِّ قلبٍ مَضْجَعُ
وغَـدَوتَ للأجيـالِ نَهْـجَ هِدايـةٍ ... وبَقِيـتَ حقـاً ثابتَـاً لا يُدْفَـعُ
حسبي -فديتُكَ- أَنْ أقولَ مُرَدِّدَاً ... (للهِ سِـرٌّ في جلالِـكِ مُـودَعُ) [1]

---

[1] - من قصيدةٍ للمؤلفِ مثبتة في كتابِهِ (الحسينُ في موكبِ الخالدين) .

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلس الزهراء عليها السلام

الدرس السابع (الأخير) ٢٦/١٢/١٤١٧هـ

شرح خطبتي السيدة زينب

عناصر الدرس :

الله حاكمٌ ومحمدٌ خصيمٌ وجبرئيلُ ظهير .

إنَّ الحسينَ أُصِيبَ في يومِ السقيفة .

رِفْعَةُ الحقِّ وضِعَةُ الباطل – ولكنهُ المأتَمُ الحيُّ والحُزْنُ السَّرْمَد .

المَغْرَمُ في المَغْنَم – تحدي الحقِّ بنورِ اللهِ الذي لا يُطْفَأ .

العارُ والنار – غايةُ الرِّضَا وحُسْنُ الاحتسابِ وجميلُ التسليم .

فبُهِتَ الذي كَفَر .

بينَ الصديقتينِ الكبرى والصغرى في خُطَبِهِما .

الله حاكم ومحمد خصيم وجبرئيل ظهير :

إنَّ مجزرةَ كربلاءَ وهولَ أحداثِها لأعظمُ مـن أنْ يُسْتَوفَى ويُؤْخَـذَ بثأرِهـا في محكمةٍ في الدنيا ، هذا والدنيا مسرحُ لَهْوٍ للقـويِّ المستبد ، وليسـت بـدارِ جزاءٍ وثواب ، ولا بدَّ مِنْ يومٍ تتجسدُ فيه العدالة ، ويُنْتَصَفُ فيه للمظلـوم ، وتُسْتَوفَى فيهِ الحقوق ، وليس هو إلا يومَ القيامةِ ومحكمةَ العدلِ الكبرى .

وفجيعةُ الدهرِ ورزيةُ الرزايا من يا تُرَى يتولى المحاجَّةَ والمخاصمَةَ في شأنِها ؟

تقولُ السيدةُ زينبُ بنتُ علـيٍّ وفاطمـةَ وبنـتُ محمـدٍ رسـولِ الله : إنَّ مَـنْ يتولى الحكمَ في قضيةِ الحسينِ ويأخُذُ له حقَّهُ منكَ يا يزيدُ إنمـا هـو الله جَـلَّ وعلا ، فهو الحَكَمُ العَدْلُ القويُّ العزيز ، ومحمـدٌ ﷺ هـو الخَصْـمُ ومُقِيـمُ الدعوى والشكاية ، ونبيُّ اللهِ الأعظمُ هو الصادقُ الأمين ، وجبرئيلُ المَلَـكُ الكريمُ على اللهِ ، العظيمُ لديه ، ظهيرٌ لرسولِ اللهِ وناصِرٌ ومؤازِر .

أيُّ محكمةٍ هذه ؟! وأيُّ جُرْمٍ ارتكبَ يزيدُ حتى يكونَ رسولُ اللهِ وجـبرئيلُ في طرفٍ وهو الآخرُ في طرف ؟!

أجل .. إن عقيلةَ آلِ محمد –وقد تَرَبَّتْ على وحيِ السماء– تجري في بيـانِ الوعيدِ والانتقامِ على نَسَقِ مـا حكى اللهُ في قرآنِـهِ حيـثُ قـال : ﴿فَـأْذَنُوا بحربٍ من الله﴾ وقـال : ﴿وإنْ تَظَـاهَرا عليـهِ فـإنَّ الله هـو مـولاهُ وجـبريلُ وصالحُ المؤمنينَ والملائكةُ بعد ذلك ظهير﴾ (التحريم –٤)

فلْيَعْلَمْ يزيـدُ الجـاني ولْيَعْلَـمْ مَـنْ حولَـهُ نُـذُرَ العقـابِ وشـدةَ المؤاخـذةِ يـومَ الحساب ﴿يومئذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى منكم خافِيَـة﴾ ﴿وعُرِضُـوا على ربِّـكَ صفاً لقد جئتُمُونا كمـا خلقنـاكم أولَ مـرةٍ بـلْ زعمتُـمْ أنْ لَـنْ نجعـلَ لكـم

موعِداً ﴿ ووُضِعَ الكتابُ فترى المجرمينَ مُشْفِقِينَ مما فيهِ ويقولُونَ يا وَيْلَنا ما هذا الكتابِ لا يُغَادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووَجَدُوا ما عَمِلُوا حاضراً ولا يَظْلِمُ ربُّكَ أحداً﴾ (الكهف ٤٨-٤٩)

ولْيَعْلَمْ سليلُ الطلقاءِ أنهُ في حربِهِ لسيدِ الشهداءِ وسبيهِ آلَ الكساءِ إنما حارَبَ اللهَ ورسولَهُ وجبرئيلَ والقرآنَ ومقدساتِ الدينِ فلْيُعِدَّ للمسألةِ يومَ العَرْضِ على اللهِ جواباً .

والحسينُ إمامُ الأمةِ من اللهِ وسبطُ رسولِ اللهِ وريحانَتُهُ وبَضْعَةُ فاطمةَ وثمرةُ فؤادِها ، وفاطمةُ بضعةُ أبيها ومُهْجَةُ قلبِهِ سيكونُ لها يومَ المحشرِ موقفٌ وأيُّ موقف !

" فعن عليٍّ عليه السلام عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا كان يومَ القيامةِ نادى منادٍ من بطنانِ العرش : يا أهلَ القيامةِ اغْمِضُوا أبصارَكم لتجوزَ فاطمةُ بنتُ محمدٍ مع قميصٍ مخضوبٍ بدَمِ الحسينِ فتحتوي على ساقِ العرشِ فتقول : أنتَ الجبارُ العَدْل ، إقْضِ بيني وبينَ من قَتَلَ ولَدَي ، فيقضي اللهُ لابنتي وربِّ الكعبة " [1]

ولَسَوفَ تأتي في القيامةِ فاطمٌ ... تشكو إلى ربِّ السماءِ وتُعْوِلُ
ولَتَرْفَعَنَّ جنينَها وحنينَها ... بشكايةٍ منها السَّمَا تتزلزلُ
ربَّاهُ ميراثي وبعلي حَقَّهُ ... غَصَبُوا وأبنائي جميعاً قُتِّلُوا
فرخايَ ذا بالسمِّ أمسى قلبُهُ ... قِطَعاً وهذا بالدماءِ مُغَسَّلُ

---

[1] – فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد /٦٥٢ عن عدة مصادر سنية .
ويلاحظ روايات كثيرة في هذا في البحار ج٢١٩/٤٣ وما بعدها .

إن الحسين أصيب في يوم السقيفة :

النص :

" وسَيَعْلَمُ مَنْ سَوَّلَ لك ، ومَكَّنَكَ مِنْ رقابِ المسلمين ، بِئْسَ للظالمينَ بَدَلاً ، وأَيُّكُمْ شَرٌّ مكاناً ، وأَضْعَفُ جُنْداً "

اللغة :

سَوَّلَ : زَيَّنَ ، و~ الشيطانُ : أَغْوَى .

البيان :

وتحتَلُّ مسألةُ (الإمامةِ) المحلَّ الأعلى -كما هو اللائقُ بشأنِها- في حديثِ أهلِ البيتِ عليهم السلام ، فكَمْ قَرَأْنا للإمامِ عليٍّ وللأئمةِ مِنْ وُلْدِهِ -عليهم السلام- وللسيدةِ فاطمةَ عليها السلام كما نقرأُ الآنَ لعقيلةِ آلِ محمدٍ عليهم السلام من مقالٍ يركزونَ فيهِ على أمرِ الإمامةِ ودورِها ، وما أُصِيبَ الأئمةُ بما أُصِيبُوا وما ابْتُلُوا بما ابْتُلُوا بهِ إلا مِنْ أجلِها وخَطَرِها .

والسيدةُ الجليلةُ -كما يقولُ الشيخُ القرشي- : " عَرَضَتْ إلى مَنْ مَكَّنَ الطاغيةَ مِنْ رقابِ المسلمين ، فهو المسؤولُ عَمَّا اقْتَرَفَهُ مِنَ الجرائم ، وقد قَصَدَتْ عليها السلام مَغْزَىً بعيداً يَفْهَمُهُ كلُّ مَنْ تَأَمَّلَ فيه " [1]

فيزيدُ لَمْ يأتِ للحكمِ بغتة ، ولَمْ يتسلَّمْ أزمةَ الأمورِ فجأة ، وإنما مَهَّدَ لهُ أبوهُ كسببٍ مباشر ، وبَذَلَ في سبيلِ ذلك كلَّ ما يملِكُ من وسائلِ الترغيبِ والترهيبِ ودَسِّ السمِّ وقتلِ المنافسينَ ومَنْ تَرْمُقُهُمُ الأمةُ بإجْلاَل .

---

[1] - حياة الإمام الحسين عليه السلام ٣/٣٨٢ .

وتولى معاويةُ حكمَ الشامِ أميراً وحاكماً مُطْلَقاً مُعْرِّقاً في ذلكَ لمدةٍ طويلةٍ منذُ وَلاَّهُ عمرُ ومَلَّكَهُ الأمرَ دونما محاسبةٍ أو مراقبة ، وقبلَهُ تولى أخوهُ يزيدُ بنُ أبي سفيان ، وقد شرحنا ذلك الأمرَ بتفصيلٍ في كتابنا (الحسينُ في موكبِ الخالدين) (*) وذكرنا الشواهدَ والأرقام ، وأثبتنا أقوالَ الشعراءِ في إثباتِ هذه الحقيقةِ المرة .

إذن فهناك أسبابٌ وعِلَلٌ تعاقَبَتْ وتآزَرَتْ وأنتجَتْ تولِيَ يزيدَ لمقاليدِ أمةِ الإسلامِ وأزمةِ أمورِها .

وتؤكدُ عقيلةُ آلِ محمدٍ على هذه الحقيقةِ وآثارِها الوخيمة ونتائِجِها السيئة ، فقد نَتَجَ عنها قتلُ سيدِ الشهداءِ إمامِ الأمة ، وضياعُ الحرماتِ وسَحْقُ المقدسات ، وهي عثرةُ الدهرِ وجريمةُ التأريخِ التي لا يُمْكِنُ أنْ تُقَالَ أو تُغْتَفَر .

ولكنها بعينِ اللهِ التي لا تُغَادِرُ صغيرةً ولا كبيرة ، والله لسلسلةِ العِلَلِ والمسببينَ من الظالمينَ بالمرصاد ، وإنَّ أَخْذَهُ لشديد ، وكما تقولُ السيدةُ فاطمةُ عليها السلام : " هُنَالِكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ويَعْرِفُ التَّالُونَ غِبَّ ما أَسَّسَ الأَوَّلُون " .

وتختمُ السيدةُ زينبُ عليها السلام هذا المقطعَ الحساسَ البليغَ بالإشارةِ إلى آياتٍ بينات :

---

* تجدر ملاحظة الفصل السادس /٩١-١٠٠ ، واقرأي فيه : سير الأمة على خطين متوازيين في أمر الإمامة ، وربط الشعراء بين السقيفة وكربلاء ، وأموراً أخرى فيه وفي الفصل الخامس .

﴿وإذْ قُلْنا للملائكةِ اسْجُدُوا لآدمَ فسَجَدُوا إلاّ إبليسَ كانَ مِنَ الجنِّ ففَسَقَ عَنْ أَمْرِ ربِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذريتَهُ أولياءَ مِنْ دُوني وهم لكم عدوٌّ بِئْسَ للظالمينَ بَدَلاً﴾ (الكهف -٥٠)

﴿وإذا تُتْلَى عليهِم آياتُنا بَيِّناتٍ قالَ الذينَ كفَرُوا للذينَ آمَنُوا أيُّ الفريقينِ خيرٌ مَقَاماً وأَحْسَنُ نَدِيّاً ۞ وكَمْ أهلَكْنا قبلَهم مِنْ قَرْنٍ هم أَحْسَنُ أثاثاً ورِئْيَاً ۞ قُلْ مَنْ كانَ في الضلالةِ فلْيَمْدُدْ لهُ الرحمنُ مَدّاً حتى إذا رأَوا ما يُوعَدُونَ إمّا العذابَ وإمّا الساعَةَ فسيعلَمُونَ مَنْ هو شَرٌّ مكاناً وأَضْعَفُ جُنْداً﴾ (مريم ٧٣-٧٥)

وقد جاءَتْ أكثرُ مِنْ آيةٍ تحمِلُ ألفاظَ الخطبةِ كقولِهِ تعالى : ﴿الذينَ يُحْشَرُونَ على وُجُوهِهِمْ إلى جهنمَ أولئكَ شَرٌّ مكاناً وأَضَلُّ سبيلاً﴾ (الفرقان -٣٤)

أجل .. فإذا كانَ ملائكةُ اللهِ ورسولُهُ والحسينُ وأهلُهُ في جانب ، وكانَ يزيدُ ومعاويةُ ومَنْ مَهَّدَ لهُ في جانبٍ فمن هو شَرٌّ مكاناً وأَضْعَفُ جنداً ؟ وكيفَ البَدَلُ عَنْ آلِ رسولِ الله ؟!

مُضَافاً إلى أنَّ اختيارَ السيدةِ الخطيبةِ البليغةِ لكلمةِ (أَيُّكُمْ شَرٌّ مكاناً وأَضْعَفُ جُنْداً) يُوحِي بأنَّ المعنى هو الوقوفُ آنذاكَ على تفاوُتِ دَرَكَاتِ الجحيمِ تَبَعاً لِعِظَمِ الجنايةِ والخيانةِ والتسبيبِ والمباشرة ، ويكونُ ذلك إشارةً إلى هذه الآيات : ﴿قالَ ادْخُلُوا في أُمَمٍ قد خَلَتْ مِنْ قبلِكم مِنَ الجنِّ والإنْسِ في النارِ كلّما دخَلَتْ أمةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها حتى إذا ادّارَكُوا فيها جميعاً قالتْ أُخْرَاهم لأُولاهم ربَّنا هؤلاءِ أَضَلُّونا فآتِهم عذاباً ضِعْفاً مِنَ النارِ قالَ

لكلٍّ ضِعْفٌ ولكنْ لا تعلمون ۞ وقالتْ أُولاهم لأُخْرَاهم فما كان لكم علينا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا العذابَ بما كنتم تكسِبُون ۞ إنَّ الذينَ كَفَرُوا بآياتِنا واستكبَرُوا عنها لا تُفَتَّحُ لهم أبوابُ السماءِ ولا يدخُلُونَ الجنةَ حتى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ وكذلك نجزي المجرمين ۞ لهم من جهنمَ مِهَادٌ ومِنْ فوقِهِم غَوَاشٍ وكذلك نجزي الظالمين﴾ (الأعراف -٣٨-٤١)

هذا وقد حَفِلَتْ زياراتُ سيدِ الشهداءِ الإمامِ الحسينِ عليه السلام ببالغِ اللعنِ والطعنِ على من أَسْهَمَ في قتلِهِ بقولٍ أو فعلٍ أو هوى ، ففي إحدى زياراتِهِ المُطْلَقَة : يا أبا عبدِا لله ، لَعَنَ ا للهُ مَنْ قَتَلَك ، ولَعَنَ ا للهُ مَنْ شَرِكَ في دَمِك ، ولَعَنَ ا للهُ مَنْ بَلَغَهُ ذلك فرَضِيَ به ، أنا إلى ا للهِ منهم بريء .

وفي ثانية : "وأَشْهَدُ أنَّ قاتِلَكَ في النار ، أُدِينُ ا للهَ بالبراءةِ مِمَّنْ قَتَلَكَ ومِمَّنْ قاتَلَكَ وشايَعَ عليكَ ومِمَّنْ جَمَعَ عليكَ ومِمَّنْ سَمِعَ صوتَكَ ولَمْ يُعِنْك" .

وفي زيارة مخصوصة : " فلَعَنَ ا للهُ أمةً أَسَّسَتْ أساسَ الظلمِ والجورِ عليكم أهلَ البيت ، ولَعَنَ ا للهُ أمةً دَفَعَتْكم عن مَقَامِكم وأَزَالَتْكم عن مراتِبِكم التي رَتَّبَكم ا للهُ فيها "

وفي أخرى : " أَلاَ لَعَنَ ا للهُ قاتِلِيكَ ولَعَنَ ا للهُ المُمَهِّدِينَ لهم بالتمكينِ مِنْ قتالِكم ، بَرِئْتُ إلى ا للهِ وإليكم منهم ومِنْ أشياعِهم وأتباعِهم وأوليائِهم ، يا أبا عبدِا لله ، إني سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكم وحَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكم إلى يومِ القيامة ، ولَعَنَ ا للهُ آلَ زيادٍ وآلَ مروانَ ولَعَنَ ا للهُ بني أميةَ قاطبةً ولَعَنَ ا للهُ ابنَ مرجانةَ ولَعَنَ ا للهُ عمرَ بنَ سعدٍ ولَعَنَ ا للهُ شِمْرَاً ، ولَعَنَ ا للهُ أمةً أَسْرَجَتْ وأَلْجَمَتْ وتَنَقَّبَتْ لقتالِك ... وأَبْرَأُ إلى ا للهِ وإلى رسولِهِ مِمَّنْ أَسَّسَ أساسَ

ذلك وبنى عليه بنيانَه ... اللهمَّ إنَّ هذا يومٌ تَبَرَّكَتْ به بنو أميةَ وابنُ آكلةِ الأكبادِ اللعينُ بنُ اللعينِ على لسانِكَ ولسانِ نبيِّكَ -صلى الله عليهِ وآلِه- في كلِّ موطنٍ وموقِفٍ وَقَفَ فيه نبيُّكَ -صلى الله عليهِ وآلِه- اللهمَّ الْعَنْ أبا سفيانَ ومعاويةَ ويزيدَ بنَ معاوية "

ثم يُقَالُ (١٠٠) مرة : اللهمَّ الْعَنْ أولَ ظالِمٍ ظَلَمَ حقَّ محمدٍ وآلَ محمدٍ ، وآخرَ تابعٍ لهم على ذلك ، اللهمَّ الْعَنْ العصابةَ التي جَاهَدَتِ الحسينَ وشايَعَتْ وبَايَعَتْ وتَابَعَتْ على قتلِه ، اللهمَّ الْعَنْهم جميعاً .

ثم يُقَال : اللهمَّ خُصَّ أنتَ أولَ ظالِمٍ باللعنِ مني وابْدَأْ بهِ أولاً ثم الْعَنِ الثاني والثالثَ والرابعَ ، اللهمَّ الْعَنْ يزيدَ خامساً والْعَنْ عبيدَا للهِ بنَ زيادٍ وابنَ مرجانةَ وعمرَ بنَ سعدٍ وآلَ أبي سفيانَ وآلَ زيادٍ وآلَ مروانَ إلى يومِ القيامة .

رفعة الحق وضعة الباطل :

النص :

" ولَئِنْ جَرَّتْ عَلَيَّ الدواهي مخاطبَتَكَ ، إني لأَسْتَصْغِرُ قَدْرَك ، وأَسْتَعْظِمُ تقريعَك ، وأَسْتَكْثِرُ توبيخَك "

البيان :

إنها عزةُ المؤمنِ وهوانُ الحاكمِ الظالمِ ، تحتقِرُهُ أسيرةٌ ثَكْلَى بينَ يدَيه ، ولكنها الرفيعةُ المنيعةُ وهو الذليلُ بين يدَيها ، تُسْمِعُهُ أَمَرَّ من العلقم ، فتنفي عنهُ أَقَلَّ ما يَتَّصِفُ بهِ الرجلُ السويُّ من صفاتٍ ، وتقولُ في وجهِهِ إنهُ أَقَلُّ

وأَذَلُّ مِنْ أَنْ تليقَ مخاطبتُهُ ، ولكنها صروفُ الدهـرِ الخَـؤُون ، ورُغْـمَ ذلـك فهو الدنيءُ الصغيرُ واللئيمُ الحقير ، بل تتعالى سـليلةُ المجدِ والشـرفِ فـترى حتى خطابَ التقريعِ عظيماً وحتى التوبيخَ كثيراً فالأَجْدَرُ بمثلِهِ أَنْ يُهْمَلَ ولا يُلْتَفَتَ إليه .

ولكنه المأتم الحي والحزن السرمد :

النص :

" لكنَّ العيونَ عَبْرَى ، والصدورَ حَرَّى ، ألا فـالعَجَبُ كـلُّ العَجَـبِ لِقَتْـلِ حزبِ اللهِ النُّجَبَاء بحزبِ الشيطانِ الطُّلَقَاء ، فهذهِ الأيدي تَنْطِفُ مِنْ دمائِنـا ، والأفواهُ تَتَحَلَّـبُ مِـنْ لحومِنـا ، وتلـكَ الجُثَـثُ الطواهِـرُ الزواكـي تَنْتَابُهـا العَوَاسِل ، وتُعَفِّرُها أُمَّهَاتُ الفَرَاعِل "

اللغة :

نَطَفَ : قَطَر . تَحَلَّبَ : سـال . انتـابَ : أتـاهُ مـرةً بعـدَ أخـرى . العواسِـلُ : الذئابُ السريعة . عَفَّرَ : لَطَّخَ في التراب . الفَرَاعِلُ : أولادُ الضباع .

البيان :

إذا ذُكِـرَ الحسـينُ فـأَيُّ عـينٍ تَصُونُ دموعَها صَوْنَ احتشامِ
بَكَتْـهُ الأنبيـاءُ وغـيرُ بِـدْعٍ إذا بَكَتِ الكرامُ على الكرامِ

فأَيُّ عينٍ لا تَدْمَعُ لِرُزْءِ الحسين ؟! وأَيُّ قلبٍ لا يَحْزَنُ ولا يَجْـزَع ؟! وحقـاً إنهُ العَجَبُ أَنْ يُتَشَفَّى بقتلِ الأولياءِ انتقامـاً لحـزبِ الشـيطانِ الطلقـاءِ مِمَّـنْ

قُتِلُوا كفاراً بسيفِ الإسلام ، فيُقْتَصُّ للكفرِ وأهلِهِ من الإسلامِ وأهلِه ، وتبقى سلالةُ الجفاةِ الطلقاءِ ومِنْ يومِ حقدِها الأسود ، فبعد أنْ لَفَظَتْ هندٌ جدةُ يزيدَ كبدَ الحمزةِ أسدِ اللهِ وعَمِّ رسولِه ، وبعدما صَنَعَ أبو سفيانَ بهِ ﷺ عَمَدَ معاويةُ إلى ريحانةِ رسولِ اللهِ الحسنِ الزكي فأذَابَ مهجتَهُ بسُمِّهِ النقيع ، ورَصَدَ مَنْ ينتَمِي لآلِ محمدٍ فَسَفَكَ دماءَهمْ وأبادَهم وهَدَمَ دُورَهم ، حتى تَمَّتْ فَتْكَةُ الدهرِ على يدِ يزيد ، فقَوَّضَ بيتَ النبوةِ واجْتَثَّ شجرةَ الإسلامِ وأفنى عترةَ محمد ، ولازالَ الغِلُّ والحقدُ المُتَّقِدُ مما لا يَبْرُدُ غليلُهُ إلا بسفكِ الدماءِ وإرْوَاءِ السيوفِ منها وإشباعِها من لحومِها ، وها أنتَ يابنَ هندٍ ومعاويةَ تَتَشَفَّى مِنْ رأسِ الشهيدِ القطيع ، فتُوسِعُهُ ضرباً ونَكْتاً ، وقد ملأتَ عِرَاصَ الطفوفِ من جُثَثِ أولياءِ اللهِ المخلَصِينَ من آلِ محمدٍ وشيعتِهم عُرْضَةً لحوافِرِ الخيولِ تَطْحَنُها بسنابِكِها وطُعْمَةً لرماحِ الأعداءِ تَصْهَرُها حرارةُ الشمسِ وتَلَفُّها الرمضاء .

وكما هي عرضةٌ لذلك فهي عرضةٌ لذئابِ الفَلاَ وضباعِ الصحراء ، هذا وقد قالتِ السيدةُ العقيلةُ لعمرَ بنِ سعد : أما فيكم رجلٌ مسلم ؟!

المغرم في المغنم :

النص :

" ولَئِنِ اتَّخَذْتَنا مَغْنَماً ، لَتَجِدَنَّا وشيكاً مَغْرَماً ، حينَ لا تَجِدُ إلاَّ ما قَدَّمَتْ يداك ، وما ربُّكَ بظلاَّمٍ للعبيد ، وإلى اللهِ المُشْتَكى وعليهِ المُعَوَّل "

البيان :

نصرٌ زائف ، وحُلْمٌ كاذب ، وفَرَحٌ سرعانَ ما يَنْقَلِبُ حزناً ومَأْتَماً ، وهزيمةٌ يُظَنُّ أنها غَلَبَة ، ولَذَّةٌ عاجلةٌ مؤقتةٌ تعقِبُها حسرةٌ دائمةٌ وتَبِعَةٌ مُتَّصِلَة .

وسيَنْفَضُّ هذا الجمعُ وتذهَبُ البهارِجُ هباءً وتَتَهَاوى العروشُ ويَذْهَبُ السلطانُ وتَضِلُّ الحيلة ، وينقَلِبُ المشهدُ إلى هذا المشهد :

﴿ولو تَرَى إذِ الظالمونَ في غَمَرَاتِ الموتِ والملائكةُ باسِطُو أيدِيهِم أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُم اليومَ تُجْزَونَ عذابَ الهُونِ بما كنتُم تقولُونَ على اللهِ غيرَ الحقِّ وكنتُم عن آياتِهِ تستكبرُون ۞ ولقد جئتُمونا فُرَادَى كما خلَقْناكم أولَ مرةٍ وتَرَكْتُم ما خوَّلْناكم وراءَ ظهورِكم وما نَرَى معَكم شفعاءَكم الذينَ زَعَمْتُم أنَّهُمْ فيكُم شركاءُ لقد تَقَطَّعَ بينَكم وضَلَّ عنكُم ما كنتُم تَزْعُمُون﴾

(الأنعام ٩٣-٩٤)

هنالك تَقْدِمُ على ما قَدَّمْتَ ، لكَ ما كَسَبْتَ وعليكَ ما اكْتَسَبْتَ ، ولا يَظْلِمُ ربُّكَ أَحَداً (*) فهو الحقُّ وهو الحَكَمُ العَدْلُ وإليهِ شكوانا وعليهِ مُعَوَّلُنا.

---

* ولعل مولاتنا عقيلة آل محمد -عليهم السلام- ألمحت بقولها : لا تجد إلا ما قدمت يداك ، وما ربك بظلام للعبيد ، إلى جملة من الآيات تشرح حال القتلة والكافرين وحال احتضارهم ، والآيات هي : (آل عمران -١٨٢) (الأنفال -٥١) (الحج -١٠) (فصلت -٤٦) (ق -٢٩) فلتراجع .

تتحدى الحق بنور الله الذي لا يطفأ :

النص :

" فَكِدْ كَيْدَك ، واسْعَ سَعْيَك ، وناصِبْ جَهْدَك ، فوا للهِ لا تَمْحُو ذِكْرَنا ، ولا تُمِيتُ وَحْيَنا "

البيان :

مقولةُ مَنْ هو على يقينٍ وبينةٍ من ربِّهِ وأمرِه ، كيف لا وهي مقولةُ عقيلةِ آلِ محمد ، فهل ثَمَّتَ بصيرةٌ أنفذُ من بصيرَتِها وهي تقولُ الحقَّ بلسانِ الصدق ، فهي تعبِّرُ كما عَبَّرَ القرآنُ في تهديدِهِ (اعْمَلُوا ما شِئْتُم) فليس هو أمراً بل هو تهديدٌ ووعيد ، ولَئِنْ واصَلْتَ يا يزيدُ مسيرةَ أسلافِكَ في كيدِهم للدينِ وعِدائِهم لحَمَلَتِهِ فابْذُلْ قُصَارَى جُهْدِك ، واستَنْفِذْ كلَّ قِوَاك ، وسَخِّرْ مُلْكَكَ فلسوفَ يذهَبُ ذلك كلُّهُ هباءً ويطيرُ شُعَاعاً .

فهل يُمْحَى ذِكْرُ الله ؟! وهل يَمُوتُ وَحْيُ الله ؟!

ولكَ مِنْ سيرةِ جدِّكَ وجدَّتِكَ مَثَل ، فقد فَرِغَا لحربِ جدي النبيِّ فهُزِمُوا في بدرٍ وظَنُّوا أنهم انْتَصَرُوا في أُحُد ، وإذا بهم بعدَ هَنَاتٍ وهَنَات ، يغزُوهم محمدٌ النبيُّ في دارِهم فيقولون : لقد أصبحَ مُلْكُ محمدٍ عظيماً –فهم يَأْبَوْنَ النبوة– ولا يجِدُونَ مَفَرّاً إلا الاستسلامَ بُقْيَاً على حياتِهم ، وبعدَ أن استراحُوا من وجودِ النبيِّ العظيمِ الكريم ، يعودُون لِمَا سَتَرُوهُ من نفاقٍ وخُبْث ، وهكذا يصنَعُ نجلُهم معاويةُ أبوكَ فيَقُضُّ مضجَعَهُ ويُؤَرِّقُهُ ذِكْرُ محمدٍ على مآذنِ الإسلامِ تالياً ذِكْرَ الله ، وفَعَلَ أبوكَ كلَّ ما يُمْكِنُه ، وجَرَيْتَ أنتَ على ذلك فصَنَعْتَ ما صنعت ، وقلتَ ما قلت :

لَعِبَتْ هاشمُ بالمُلْكِ فلا خَبَرٌ جاءَ ولا وَحْيٌ نَزَلْ

ومضى الأسلافُ إلى مَأْوَاهم ، وبَقِيَ محمدٌ وقرآنُهُ وعترتُهُ خالدين ، وستَذْهَبُ أنتَ إلى مأواكَ حيثُ هم مُقِيمُونَ ، وسيبقى ذِكْرُ محمدٍ وآلِهِ لا يُمْحَى ولا يَزُول ، ووَحْيُ اللهِ الذي نَزَلَ في بيوتِهم وفيهم خالداً لا يموت . ولقد ضَمِنَ اللهُ لدينِهِ ولأوليائِهِ النصرَ والبقاءَ ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نورَ اللهِ بأفواهِهِم ويأبى اللهُ إلاَّ أَنْ يُتِمَّ نورَهُ ولو كَرِهَ الكافرون﴾ (التوبة -٣٢) ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا والذينَ آمَنُوا في الحياةِ الدنيا ويومَ يقومُ الأشهادُ ۞ يومَ لا يَنْفَعُ الظالمينَ مَعْذِرَتُهم ولهم اللعنةُ ولهم سوءُ الدار﴾ (غافر ٥١-٥٢)

إنهُ الحقُّ الذي قد جاءَ ويزيدُ في ذروةِ زَهْوِهِ فأَزْهَقَ باطِلَه ، فقد خَطَبَ الإمامُ عليُّ بنُ الحسينِ عليه السلام في مجلسِ يزيدَ فلَمَّا بَلَغَ في كلامِهِ إلى قولِه :

أنا ابنُ المُرَمَّلِ بالدماء ، أنا ابنُ مَنْ بَكَى عليهِ الجنُّ في الظُّلْمَاء ، أنا ابنُ مَنْ ناحَ عليهِ الطيرُ في الهواء ، ضَجَّ الناسُ بالبكاءِ والنحيبِ وخَشِيَ يزيدُ (لعنَهُ الله) أنْ تكونَ فتنةٌ فأَمَرَ المؤَذِّنَ أنْ يُؤَذِّنَ للصلاة ، فلَمَّا قال : أَشْهَدُ أَنَّ محمداً رسولُ الله ، قال الشيخ للمُؤَذِّن : أَسْأَلُكَ بحقِّ محمدٍ هذا أَنْ تَسْكُت ، ثُمَّ أقبلَ على يزيدَ قائلاً يا يزيدُ هذا الرسولُ العزيزُ الكريمُ جدي أَمْ جَدُّك ؟ فإنْ قلتَ إنهُ جدُّكَ يَعْلَمُ العالَمُونَ أنكَ كاذب ، وإنْ قلتَ إنهُ جدي فلِمَ قتلتَ أبي ظلماً وانْتَهَبْتَ مالَهُ وسَبَيْتَ نساءَه ، فعَلْتَ هذا ثم تقولُ محمدٌ رسولُ الله ، وتستقبلُ القِبلة ، فويلٌ لكَ من يومِ القيامةِ حيثُ كانَ خَصْمُكَ جدي وأبي ، فصاحَ يزيدُ بالمؤَذِّنِ أنْ يُقِيمَ الصلاة ، فوَقَعَ بينَ

الناسِ دمدمةٌ وزمزمةٌ عظيمة ، فبعضٌ صلى وبعضُهم لَمْ يُصَلِّ حتى تَفَرَّقُوا.[١]

وإنما هي الغَلَبَةُ الحقيقيةُ التي يقولُ عنها الإمامُ عليُّ بنُ الحسينِ حينما استَقْبَلَهُ إبراهيمُ بنُ طلحةَ بنُ عبيدِا لله -بعدَ مقتلِ الحسين- وسأَلَه : يا عليُّ بنُ الحسينِ مَنْ غَلَب ؟ (وهو يُغَطِّي رأسَهُ وهو في المحمَل) فقالَ الإمامُ عليه السلام إذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَنْ غَلَبَ ودَخَلَ وقتُ الصلاةِ فأَذِّنْ وأَقِم .[٢]

وصَدَقَ ا للهُ حيثُ يقول ﴿أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأَمَّا ما يَنْفَعُ الناسَ فَيَمْكُثُ في الأرضِ كذلك يَضْرِبُ ا للهُ الأمثال﴾ (الرعد -١٧) ﴿وقُلْ جاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ إنَّ الباطِلَ كان زَهُوقاً﴾ (الإسراء -٨١)

العار والنار :

النص :

" ولا يُرْحَضُ عنكَ عارُها ، وهل رَأْيُكَ إلاَّ فَنَد ، وأيامُكَ إلاَّ عَدَد ، وجَمْعُكَ إلاَّ بَدَد ، يومَ يُنَادِي المنادي ألاَ لعنةُ ا للهِ على الظالمين "

اللغة :

رَحَضَ : غَسَل . الفَنَدُ : الكَذِبُ وضَعْفُ الرأي .

---

[١] - نفس المهموم /٤١١ ملخصاً .

[٢] - نفس المهموم /٣٩٦ .

البيان :

إنَّ أعظمَ الجرائمِ قتلُ الإمام ، ومقتلُ سيدِ الشهداءِ أفظعُ جريمةٍ ارْتُكِبَتْ في التأريخ ، والعارُ وخزيُ الأبَدِ ليزيدِ الإجرام ، والتَّبِعَاتُ الجِسامُ لذلكم الخَطْبِ الأفْظَعِ تُطَوِّقُ عنقَ الوغدِ اللئيمِ دَهْرَهُ وحَشْرَه .

وهذا صنيعُهُ الأحمقُ فقد أسْكَرَهُ المُلْكُ والشبابُ والشَّرَاب .

وأيامُهُ معدودةٌ (*) ولكنها عامرةٌ بالسَّفَهِ والاستخفافِ والمروقِ وهَتْكِ الحرماتِ وسَحْقِ المقدسات- ولا محالةَ ستهوي عروشُ ملكِهِ ويذهَبُ مَنْ حوله ، ويُفْرَدُ في حفرتِهِ مُطَوَّقاً بجرائِمِهِ مُعَذَّباً في قبرِهِ حتى يومِ الحشرِ الأعظمِ فيُفْضَحُ على رؤوسِ الأشهادِ حينَ ينادِي المنادي ألاَ لعنةُ اللهِ على الظالمين ، فيقومُ يزيدُ بأغلالِهِ مُثْقَلاً بأثقالٍ دونَها الجبالُ فيُسْحَبُ ويُهْوَى بهِ في دركاتِ الجحيم .

---

* فقد حَكَمَ ثلاثَ سنواتٍ قَتَلَ في الأولى سيدَ الشهداءِ ومَنْ معه ، وأباحَ في الثانيةِ مدينةَ الرسولِ وقَتَلَ فيها من المهاجرينَ والأنصارِ (١٠٠٠٠) ، وفي الثالثةِ رمى الكعبةَ بالمنجنيقِ وأحرقَها بالنار ، وهلك سنة ٦٤ بذاتِ الجنب (السل) لإدمانِهِ الشرابَ باتَ سكرانَ فأصبحَ ميتاً متغيراً كأنهُ مطليٌّ بالقارِ ، وقيلَ غيرُ ذلك .

غاية الرضا وحسن الاحتساب وجميل التسليم :

النص :

" والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ الذي خَتَمَ لأوَّلِنا بالسعادةِ والمَغْفِرَة ، ولآخِرِنا بالشهادةِ والرحمة ، ونسألُ الله أنْ يُكْمِلَ لهم الثواب ، ويُوجِبَ لهم المزيد ، ويُحْسِنَ علينا الخلافة ، إنهُ رحيمٌ ودُود ، وحسبُنا الله ونِعْمَ الوكيل "

البيان :

قلبٌ مُفْعَمٌ بحبِّ الله والرضا بقضائِهِ وقَدَرِه ، ولسانٌ لَهِجٌ بحمدِهِ والثناءِ عليهِ والتسليمِ لأمرِهِ على كلِّ حال ، وعِلْمٌ بموقعِ هذا البيتِ الإلهي ومركزِهِ في الدين ، وقيامٌ بالمهامِ الإلهيةِ المناطَةِ به ، وهي منه ، فـالله –جلَّ جلالُهُ– ربُّ العالمينَ اختارَ محمداً خاتَمُ النبيينَ الذي بَذَلَ في الله وجودَهَ فختَمَ لهُ بالسعادةِ والمغفرة ، وسارَ على ذلك آلُهُ الأبرارُ فتحَمَّلُوا في إحْيَاءِ دينِهِ وإقامَتِهِ ما لا يُقْوَى على مِثْلِه ، فقُتِلَ مَنْ قُتِل ، وسُبِيَ مَنْ سُبِي ، وخُتِمَ لآخِرِ آلِ الكساءِ وخامسِ أهلِ العَبَا بالشهادةِ فهو سيدُ الشهداء .

وانقطاعٌ إلى المولى أنْ يُكْمِلَ لهم الثوابَ كِفَاءَ ما قَدَّمُوا مِنْ بَذْلِ النفسِ والنفيس ، وجزاءَ ما نالَهم من عناءٍ وبلاءٍ في حياتِهم وبعدَ شهادتِهم بما يُعْلِي كلمتَهم ويَرْفَعُ درجَتَهم ويُبَوِّئُهم المحلَّ الأعلى والمقامَ الأسمى ، ويُعَوِّضُ آلَ محمدٍ بحسنِ الخلافةِ بما أَعَدَّهُ لأوليائِهِ المقربينَ وعبادِهِ الصالحينَ فإنهُ الرحيمُ الودُودُ وهم أَحِبَّاؤُهُ وأَوِدَّاؤُه .

وإنَّ في الله عِوَضَاً عن كلِّ مفقودٍ وخَلَفَاً عن كلِّ فائِت ، عليهِ تَوَكَّلْنا وإليهِ أَنَبْنَا وإليهِ المصير ، وهو حسبُنا ونِعْمَ الوكيل .

وهذا مقامُ آلِ محمدٍ ومَنطِقُهم وجوهَرُهم ، وأمَّا أنتَ يا يزيدُ فتَبُوءُ بإثْمِكَ وتَلْحَقُ بأهلِكَ وإلى اللهِ مآبُكَ وعليهِ حسابُك ، فلكَ خِزْيُ الدنيا والآخرةِ والتَّقَلُّبُ في دَرَكَاتِ الجحيمِ مع العُتَاةِ والمَرَدَةِ وساءَ ذلك مآلاً ومُنْقَلَباً ومَصِيراً ، وسيعلَمُ الذين ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ولا عدوانَ إلاَّ على الظالمين .

فبهت الذي كفر :

فمَا كانَ من يزيدَ إلاَّ أنْ قال :

يا صيحةً تَحْمَدُ مِنْ صوائِحِ ما أهْوَنَ النوحَ على النوائِحِ

وما كانَ لدَيهِ مقالٌ يقولُه ، ولا عُذْرٌ يَعْتَذِرُ بهِ ولا مُتَعَلَّقٌ يتمَسَّكُ بأطرافِهِ وإنْ كانَ واهِيَاً ، وما كانتْ كلماتُ عقيلةِ آلِ محمدٍ صوائِحَ ولا نوائحَ ، وإنما كانتِ السهامَ النافذةَ إلى قلبِهِ والرماحَ المُشْرَعَةَ إلى لُبِّه ، وما كانتْ إلاَّ الحسامَ على مفارِقِ الهام ، ولكنَّ يزيدَ لا يَمْلِكُ ذرةً من حياءٍ ولا مِسْكَةً من عقلٍ ولا أَثَراً من الإنسانيةِ والوجدان ، وصَدَقَ اللهُ حيثُ يقولُ ﴿والذي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إلاَّ نَكِدَاً﴾ .

بين الصديقتين الكبرى والصغرى في خطبهما :

يَقِفُ الباحثُ المتأملُ في خطبِ فاطمةَ وزينبَ على قواسِمَ مشتَرَكَةٍ في مواطنَ عديدة ، وحيثُ لَمْ يكنْ من القصدِ دراسةُ خُطَبِهما عليهما السلام من هذهِ الزاويةِ فسأكتفي بإيرادِ نماذِجَ من ذلك :

١ – حديث الإمامة :

يقولُ الشيخ محمد جواد مغنية –بعد أنْ أَوْرَدَ مقاطعَ من خطبةِ السيدةِ فاطمة– :

وبهذا يتبينُ أنَّ الزهراءَ أولُ مَنْ وَضَعَ أُسُسَ الموازنةِ والمُفَاضَلَةِ بينَ أهلِ البيتِ وغيرِهم ، وأولُ مَنْ دَعَا دعوةً صريحةً واضحةً لِوَلائِهم ووُجُوبِ طاعتِهم ومتابَعَتِهم وأولُ مَنْ أَعْلَنَ نفاقَ مَنْ صَدُّوا علياً عن الخلافةِ بعدَ أبيها .. خَطَبَتِ الزهراءُ بعدَ حادثةِ السقيفةِ خطبتين : الأولى في المسجدِ الجامعِ بحضورِ المهاجرينَ والأنصارِ وفيهم أبو بكرٍ وعمر ، والثانيةُ في بيتِها حينَ اجتمَعَتْ نساءُ الأصحابِ لِيَعُدْنَها في المرضِ الذي ماتَتْ فيه ، وتُرَكِّزُ أقوالَها في كلتا الخطبتينِ على أنَّ ابنَ عمِّها علياً هو صاحبُ الحقِّ في الخلافةِ بعدَ رسولِ الله ، وأنَّ الذينَ حالُوا بينَهُ وبينَها قد خانُوا العهدَ والميثاق ، وقَطَعُوا ما أَمَرَ اللهُ بهِ أَنْ يُوصَل .

ثم أوردَ –رحمه الله تعالى– خطبةَ زينبَ في الكوفةِ وعَقَّبَها بقولِه :

ومَنْ تَأَمَّلَ خطبتَها هذهِ وخطبةَ أُمِّها تلكَ يبدُو لهُ لأولِ نظرةٍ وجهُ الشبهِ بينَ الخطبتينِ وأنَّهُما تصدُرَانِ من معدنٍ واحد ، وترميانِ إلى هدفٍ واحد ، وهو بثُّ الدعوةِ لأهلِ البيتِ ونشرُ فضائِلِهم ومحاسِنِهم ومثالِبِ غيرِهم

ومساوئهم ، وإفهامُ الناسِ جميعاً أن الإسلامَ في حقيقتِهِ لا يقومُ على التلفظِ بالشهادةِ وتأديةِ الفرائضِ المكتوبةِ وكفى ، بل لابدَّ أولاً وقبلَ كلِّ شيءٍ من التصديقِ بما جاءَ بهِ محمد ، ومما جاءَ بهِ وجوبُ التمسكِ بالكتابِ والعترةِ (بنصِّ حديثِ الثقلينِ الذي رواه مسلمٌ وأحمد) ولكنَّ المسلمينَ بعدَ نبيِّهم نَبَذُوا الكتابَ وأَضَاعُوا العترة ... ويقولُ الشيخُ المظفر في الجزء الثالث من كتاب دلائل الصدق : ولا أدري متى تَمَسَّكَتِ الأمةُ بالعِتْرَة ؟! أَفي زمنِ أميرِ المؤمنينَ أو في زمنِ أبنائِهِ الطاهرين ؟ بل جَعَلُوا عداوَتَهم وسَبَّهم ديناً ، وحارَبُوهم بالبصرةِ والشامِ والكوفة ، وسَبَوا نساءَهم سَبْيَ التُّرْكِ والدَّيْلَم .

وقال في موطنٍ آخَر :

وبالتالي فإن كلماتِ الزهراءِ بعدَ يومِ السقيفةِ وكلماتِ ابنتِها زينبَ في يومِ كربلاءَ وبعدَه ، وكلماتِ الإمامِ زينِ العابدينَ وأُمِّ كلثومٍ وفاطمةَ بنتِ الحسينِ جميعَها ترمي إلى غَرَضٍ واحدٍ وهو إقامةُ الحُجَجِ والبراهينِ على أنَّ أهلَ البيتِ هم أصحابُ الحقِّ في خلافةِ الرسول ، وأولى بالطاعة ، وأنَّ مَنْ عارَضَ وعانَدَ فقد رَدَّ على اللهِ ورسولِه . [1]

٢- الصراحة والنقد اللاذع للحاكم :

وقد تجلتْ الجرأةُ في قولةِ الحقِّ بأجلى صورِها في كلماتِهما عليهما السلام فقد وضَعَتَا النقاطَ على الحروف ، ومِنْ صورِ ذلكَ مجابهةُ الحاكمِ بأشدِّ الكلامِ والمجاهَرَةِ بصريحِ الرأيِ فيه .

---

[1] - مع بطلة كربلاء /٨٢،٨٥،٩٣ .

وأَدَعُ القولَ للشيخِ مغنية مُعَقِّباً على خطابِ السيدةِ زينبَ لابنِ زيادٍ مُقارِناً ذلك بخطابِ أُمِّها لأبي بكر :

" وما أشبهَ قولَها لابنِ زيادٍ (فـانْظُرْ لِمَـنِ الفَلَـجُ يومئـذٍ ثَكِلَتْـكَ أُمُّـكَ يـابنَ مَرْجَانة) بقولِ أُمِّها للخليفةِ الأول (يابنَ أبي قحافةَ أَفي كتابِ اللهِ أَنْ تَـرِثَ أباكَ ولا أَرِثَ أبي ؟ لقد جِئْتَ شيئاً فَرِيّاً ، أَفَعَلَـى عَمْـدٍ تركتُـم كتـابَ اللهِ ونَبَذْتُمُوهُ وراءَ ظهورِكم ؟)

أجل .. إنَّ كُلاً منهُما –المعني بخطابِ الزهراء والمعني بخطابِ الحـوراء– قـد تَـرَكَ الكتـابَ ونَبَـذَهُ وراءَ ظهـرِهِ عـن عمـد ، ولم يَخْتَلِفَـا في شـيءٍ إلا في الأسلوبِ والمَظْهَر " [1]

هذا ومَنْ يعودُ إلى فقـراتِ الخطـبِ الجريئـةِ يَقِـفُ على بلوغِهـا الغايـةَ مـن الإنكارِ والانتقاد ، وقد لاحظنا أَثَرَ ذلك في رَدَّةِ فعلِ أبـي بكـرٍ تِجَـاهَ ذلـك التجريحِ (في شرحِنا خطبةَ الزهراء) كما لاحظنا رَدَّةَ الفعـلِ مـن ابـنِ زيـادٍ ويزيدَ (في شرحِنا هذا لخطبةِ الحوراء) .

٣– الانتزاعات القرآنية :

ونَلْمَـحُ في خطبِهمـا عليهما السلام انـتزاعَ الآيـاتِ مـن القـرآنِ الكريـمِ ودمجَهـا في كلامِهما ، وكذلك الإلماحَ إلى الآياتِ بذكرِ بعضِها وتكـونُ تتماتِهـا تحمـلُ معاني أبعدَ تنطَبِقُ على المَغْيِّـينَ بـالحديث ، ولا غَـرْوَ فإنهمـا ربيبتـا الوحـيِ وبيتَهما مهبطُ القرآنِ ومختلَفُ الملائكةِ وخريجتا محمدٍ النبيِّ وعليٍّ الوصي .

---

[1] – مع بطلة كربلاء /٨٧ .

٤- تقارب الأسلوب :

فالنواحي الفنيةُ في البيانِ متقاربةٌ من حيثُ تركيبِ الجملِ وقصرِ الفواصل ، وأنواعِ البديع ، وأساليبِ الهيمنةِ والتأثير .

ولا بِدْعَ فقد كانتْ فاطمةُ تُفْرِغُ عن لسانِ أبيها وهو من أُوتِيَ جوامِعَ الكَلِمِ وفصلَ الخطاب ، وقد كانتْ زينبُ تُفْرِغُ عن لسانِ أبيها وهو معدنُ الفصاحةِ والبلاغةِ ومَنْ كلامُهُ دونَ كلامِ الخالقِ وفوقَ كلامِ المخلوق ، وكما يقول الشيخ جعفر النقدي -رحمه الله تعالى- عن خطبِ السيدةِ زينب : " وهي مِنْ أَبْلَغِ الخطبِ وأَفْصَحِها ، عليها أنوارُ الخطبِ العلوية ، وأسرارُ الخطبةِ الفاطمية " . [1]

٥- الشجاعة الأدبية :

وهي بنحوٍ أظهرَ من أن يحتاجَ إلى وصفٍ أو تدليل ، ومَنْ وَقَفَ على أجواءِ الرهبةِ التي كانتْ تَلُفُّ آلَ محمدٍ أيامَ محنةِ السقيفةِ وكربلاءَ عَرَفَ أَنَّ السيدتينِ العظيمتينِ كانتا تحملانِ روحَ محمدٍ وعليٍّ وقوةَ قلبِهما وشجاعَتَهما في ميدانِ الحروبِ وبين الصفوفِ ومُشْتَبَكِ الرماحِ والسيوف .

نعم .. رُبَّ كلامٍ أَنْفَذُ مِنْ سهامٍ وأَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الحسام .

---

[1] - زينب الكبرى /٥١ .

ثَبّتنا الله على ولايةِ محمدٍ وآلِ محمد ، والبراءةِ من أعدائِهم وغاصِبيهم حقوقَهم ، وجَعَلَنا من المتمسكينَ بنَهْجِهم ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، وصلى الله على محمدٍ وآلِهِ السادةِ المنتجبين .

أسئلة للاختبار :

س١: متى وُلِدَتْ زينبُ عليها السلام؟ ومن اختارَ لها هذا الاسم وما معناه في اللغة؟ ومتى عَرَجَتْ روحُها المقدسة ؟ وأينَ مدفنُها ؟

س٢: ما مصدرُ علمها عليها السلام؟ وما هي الأسباب المحتملة لهذه القوة الربانية؟

س٣: ما دورُ زينب في خروجِها مع أمها الزهراء عليها السلام حينَ ألقتْ خطبتَها المعجزة في مسجدِ أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

س٤: قرينةُ الأشجان .

تحدثي عن مصداق هذه الصفة في حياةِ السيدة زينب عليها السلام وأثر ذلك في مؤهلاتِها النفسية من الصبر والثبات وغير ذلك .

س٥: بين الحسين وزينب عليهما السلام علاقةٌ خاصة ، بيني ذلك من خلال تعامل كل منهما مع الآخر .

س٦: تخرجُ سيدةٌ ليلاً ، تحفُّها أنوارٌ ثلاثة ، خُلِقَ الوجودُ لأجلِهم ، وهم أولُ الخلق ، بهم توسَّلَ الأنبياءُ وتقرَّبوا ، لماذا يجتمعون في هذا الموكب ؟ ما هذا الجلال ؟ وما هذا المشهد العجيب ؟

س٧: بالأمسِ أُحْضِرَتْ إلى الشامِ أسيرة ، فحدثينا عنها اليوم : حديثَ الأجيال ، معتكف العبادة ومعبد العواطف .

س٨: لعلَّ التأريخ لم يحفظْ مواقفَ من البطولةِ والإيمانِ والثباتِ لامرأة كتلك التي فَرَضَتْها زينبُ على التأريخ ، تحدثي عن ذلك من خلال دورِها في قضيةِ كربلاء التي كان بها حفظُ الإسلام .

س٩: نحنُ أسارى آلِ محمد ... إنَّ الصدقةَ علينا حرام .

ما هي ملابسات وظروف الخطبة الأولى للسيدة زينب عليها السلام في الكوفة ؟

س١٠: من أبرزِ الصفاتِ التي سجَّلَتْها زينبُ عليها السلام على مجتمع الكوفة (الخَتْلُ والغَدْر) ما سَنَدُ هذا الحكم ؟

س١١: بينَ صِفَة (الصَّلَف) من جهة وَ (مَلَق الإماء ، وغَمْز الأعداء) تناقضٌ برز في شخصية أهل الكوفة ، فما معنى هذه الصفات ؟ مع بيان التناقض .

س١٢: " أَوْ كَمَرْعَى على دِمْنَة ، أَوْ كَقَصَّةٍ على مَلْحُودَة "

اشرحي هذه الفقرة .

س١٣: " ولَنْ تَرْحَضُوها بغَسْلٍ أبداً " .

اشرحي هذه الفقرة من الخطبة الشريفة .

س١٤: " أَتَدْرُونَ أَيَّ كَبِدٍ لرسولِ اللهِ فَرَيْتُم ؟! وأَيَّ كريمةٍ لهُ أَبْرَزْتُمْ ؟! وأَيَّ دَمٍ لهُ سَفَكْتُمْ ؟! وأَيَّ حُرْمَةٍ لهُ انْتَهَكْتُمْ ؟! "

تحدثي عن جرائمِ الأمويين وأنصارِهم من خلالِ هذا النص الشريف .

س١٥: حديثُ الدَّم .

أَرْسَلَتْهُ كربلاءُ إلى بيتِ المقدس ، وإلى مدينةِ الرسول ، وإلى الشام ، وإلى الأُفُقِ .

تحدثي عن الدم من حيث :

عناية الله تعالى ورسوله ﷺ به - تركيز الإمام الحسين عليه السلام على الاهتمامِ به - بعض أهداف إرساله إلى الأرض والسماء - بعض أسبابه وأسراره .

س١٦: ما هي ظروف وملابسات الخطبة الثانية ؟

س١٧: الحمد والصلاة يحملان دلالة على الشهادتين ، بيني ذلك .

س١٨: الغلبة ليست مقياس الكرامة ، بيني ذلك من خلال الخطبة الثانية للسيدة زينب عليها السلام .

س١٩: من أعظم جرائم الأمويين على الإطلاق إقصاء الإمامة وتحويل الخلافة إلى ملك متوارث ، كيف تم ذلك ؟ وما هي نتائجه على الإسلام وعلى المسلمين ؟

س٢٠: "أَ مِنَ العدلِ يابنَ الطلقاء ؟"

لمن قالت هذه الكلمة المعبرة ؟ وما مدلولها ؟ وما هو الأمر الذي يتنافى والعدل ، بل ويدل على انحطاط الحاكم وتجرده عن الإنسانية ؟

س٢١: كان للوراثة والتربية أثر كبير في شخصية يزيد ، فكان أبعد ما يكون عن (الإنسان) ، تحدثي عن بعض الذين ورثهم يزيد وتربى على أيديهم ؟

س٢١: هاشم وأمية طرفا حرب مَثَّلَ أحدهما الحق والآخر الباطل ، ولم يغير الإسلام من هذا الواقع بل استمر أحدهما فكان يمثل الإسلام والآخر يمثل الكفر ، ولم يكن الطرفان أبداً طائفتين من المسلمين اقتتلوا ، وقد دلت

أفعال وأقوال يزيد الحاكم الأموي الثاني (أو الثالث) على هذه الحقيقة ، بيني ذلك لا أقل من خلال نظرة يزيد إلى (بدر) وإلى (كربلاء) .

س٢٢: إن الحسينَ أُصِيبَ في يومِ السقيفة .

حقيقة شاركت الزهراء عليها السلام في التنبيه عليها بعد أيام قليلة من (السقيفة) فقالت :

فنَظِرَةٌ رَيْثَما تُنْتِج ، ثُمَّ احْتَلِبُوا مِلْءَ القَعْبِ دَمَاً عَبيطاً ، وذُعَافاً مُبِيداً ، هُنالِكَ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُون ، ويَعْرِفُ التَّالُونَ غِبَّ ما أَسَّسَ الأَوَّلُون ، ثُمَّ طِيبُوا عَنْ دُنياكُمْ نَفْساً ، واطْمَئِنُوا للفِتْنَةِ جَأْشاً ، وأَبْشِرُوا بسَيْفٍ صارِمٍ ، وسَطْوَةِ مُعْتَدٍ غَاشِمٍ ، وبِهَرَجٍ شَامِلٍ ، واسْتِبْدَادٍ مِنَ الظالمينَ .

وها هي سليلتها –وما أقربها منها– تؤكد على هذه الحقيقة بعد أيام من (كربلاء) فماذا قالت زينب عليها السلام ؟ وماذا تعني ؟ ومن تعني ؟

س٢٣: لعل أعظم وأجل كلمة وأكثرها إعجازاً في خطبتي السيدة زينب عليها السلام هي قولها :

" فَكِدْ كَيْدَك ، واسْعَ سَعْيَك ، وناصِبْ جَهْدَك ، فوا للهِ لا تَمْحُو ذِكْرَنا ، ولا تُمِيتُ وَحْيَنا "

كيف طابقت هذه الكلمة الواقع من كربلاء إلى يومنا هذا ؟

س٢٤: من خلال خطبتي السيدة زينب عليها السلام نستطيع أن نتبين بعض صفاتها الذاتية وبعض المباديء التي تؤمن بها وبعض الأساليب التي تستخدمها ، اكتبي أمام كل مادة ما يدل عليها من الخطبتين الشريفتين :

- الجرأة والشجاعة في المواجهة :
- النقد اللاذع للحاكم :
- الاهتمام بقضية الإمامة :
- المعرفة بحقيقة النهضة الحسينية وحقيقة الصراع ومن المنتصر :
- الانتزاع من القرآن الكريم :
- المأتم الحي في روحها :
- التذكير بالحكمة الإلهية كركيزة أساسية في الصراع :
- التسليم والرضا بالقضاء والقدر :
- النظرة البعيدة التي هي نتيجة العلم :

مصادر الشرح

القرآن الكريم

م	المصدر	المؤلف
١	أحاديثُ أُمِّ المؤمنين عائشة	السيد مرتضى العسكري
٢	أدبُ الطف	السيد جواد شبر
٣	الإرشاد	الشيخ المفيد
٤	الأزهارُ الأَرَجِية في الآثارِ الفَرَجية	الشيخ فرج العمران
٥	الانتصار	السيد المرتضى
٦	الأنوارُ القدسية	الشيخ محمد حسين الأصفهاني
٧	بحارُ الأنوار	الشيخ المجلسي
٨	تأريخُ الطبري	أبو جعفر الطبري
٩	التشيعُ لماذا ؟	المؤلف
١٠	تنقيحُ المقال	الشيخ عبدا لله المامقاني
١١	الجمل	الشيخ المفيد
١٢	جنةُ المأوى	الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء
١٣	الحسينُ في موكبِ الخالدين	المؤلف

١٤	الحسينُ والسنة	جمع السيد عبدالعزيز الطباطبائي
١٥	حياة الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ باقر القرشي
١٦	حياةُ الإمامِ الحسين عليه السلام	الشيخ باقر القرشي
١٧	الديوان الأول	الشيخ أحمد الوائلي
١٨	ديوان السيد الحميري	تحقيق شاكر هادي
١٩	ديوان العلامة الجشي	الشيخ علي الجشي
٢٠	زينبُ الكبرى	الشيخ جعفر النقدي
٢١	سيرةُ المصطفى	السيد هاشم معروف
٢٢	شرحُ نهجِ البلاغة	ابن أبي الحديد
٢٣	العباسُ بنُ الإمامِ أميرِ المؤمنين	السيد عبدالرزاق المقرم
٢٤	العرفان (مجلة)	بإشراف الشيخ أحمد عارف الزين
٢٥	عليٌّ الأكبر	السيد عبدالرزاق المقرم
٢٦	فاطمةُ بهجةُ قلبِ المصطفى	الشيخ أحمد الرحماني
٢٧	فاطمةُ أُمُّ أبيها	السيد فاضل الميلاني
٢٨	فاطمةُ الزهراءُ من المهدِ إلى اللحد	السيد محمد كاظم القزويني
٢٩	الكامل في التأريخ	ابن الأثير
٣٠	كمالُ الدينِ وتمامُ النعمة	الشيخ الصدوق
٣١	الكنى والألقاب	الشيخ عباس الحلي
٣٢	اللهوف	السيد ابن طاووس

٣٣	مرقدُ العقيلةِ زينب	الشيخ محمد حسنين السابقي
٣٤	مع النبيِّ وآلِه (ديوان)	السيد محمد جمال الهاشمي
٣٥	مع بطلةِ كربلاء	الشيخ محمد جواد مغنية
٣٦	مقاتلُ الطالبيين	أبو الفرج الأصفهاني
٣٧	مقتلُ الحسين عليه السلام	السيد عبدالرزاق المقرم
٣٨	ملحمةُ أهلِ البيت	الشيخ عبدالمنعم الفرطوسي
٣٩	نفسُ المهموم	الشيخ عباس القمي
٤٠	نهجُ البلاغة لأميرِ المؤمنين عليه السلام	جمعهُ الشريفُ الرضي
٤١	وفاة زينب الكبرى	الشيخ فرج العمران

الفهرس

مع بطلة المواقف ٥

الدرس الأول :

تقـرُّب ٩

افتتـــاح ١٠

أولاً : غَرْسُ النبوةِ والإمامة ، وثمرةُ الشجرةِ الطيبة ١٠

ثانياً : اسمٌ من السماء ١٢

ثالثاً : مواهِبُ إلهية ١٣

رابعاً : العلمُ المُفاض ١٤

خامساً : خُزانَةُ الأسرار ١٦

سادساً : الأُذُنُ الواعية ١٨

سابعاً : النيابةُ عنِ الإمامِ المعصوم ١٨

ثامناً : قرينةُ الأحزان وحليفةُ الأشجان ١٩

فقدُ النبيِّ والرؤيا المزعجة ١٩

شهادةُ أُمِّها الزهراء ٢٠

الفجيعةُ الثالثة بأبيها أمير المؤمنين ٢٣

الرزيةُ الرابعة فقدُها شقيقَها الإمامَ الحسنَ المجتبى ٢٦

الدرس الثاني :

والرزيةُ الخامسة ... جامعةُ الأرزاءِ ٣١

شرح خطبتي السيدة زينب ١٦٢
المقاماتُ العالية ، والمَثَلُ الأعلى ٣٦
جلالٌ وعنايةٌ من الأئمةِ المعصومين ٤٢
سيدةُ البيتِ الهاشمي ٤٢
الإجلالُ والخلود ٤٤
مُعْتَكَفُ العبادة ، ومَعْبَدُ العواطف ٤٩
حديثُ الأجيال ٥٣
عروجُ روحِها ٥٤
الدرس الثالث :
مواقِفُ بطولية :
كتابُ عائشةَ إلى حفصةَ (يومَ الجملِ) وموقِفُ البَطَلَة ٥٧
معَ عمرَ بنِ سعد ٥٨
مع ابنِ زياد ٥٨
مع يزيدَ بنِ معاوية ٦٣
الدفاعُ عن الإمام ٦٨
خطبة السيدة زينب في الكوفة .
ظروفُ الخطبة ٧٠
الملابسات ٧٠
استهلالٌ ... وبراعة ٧٣
الدرس الرابع :
الصفاتُ النفسيةُ لمجتمعِ الكوفة ٧٧

١ وَ ٢ - الخَتْلُ والغَدْر ٧٨
سَنَدُ الحكمِ والإدانة ٧٨
٣- رمزُ الحُمْقِ والنفاق في نقضِ العهود ٨٤
٤ وَ ٥ وَ ٦ - الصَّلَفُ ومَلَقُ الإماء ، وغَمْزُ الأعداء ٨٤
٧ وَ ٨ - المَهانةُ وخُبْثُ السريرة ٨٥
البكاءُ لا يَغْفِرُ الجريمةَ النَّكْراء ... وجزاؤُها العذابُ الأَبَدِي ... ٨٦
أَفْظَعُ الجرائِم .. قَتْلُ الإمام ٨٨
ذُلُّ الحياةِ والغَضَبُ الإلهي ٩٠
فَدَاحَةُ الأرزاء ٩١
رُزْءُ الحسينِ أبكى السماءَ دَمَاً ٩٣
إنَّ ربَّكَ لَبِالْمِرْصَاد ٩٧
كَفَى يابْنَةَ علي ٩٨

الدرس الخامس :

الخطبة الثانية :

ظروفُها وملابساتُها :

١- أُسَارَى آلِ محمدٍ إلى الشام ١٠١
٢- موكبُ الأحزانِ في الشام ١٠٢
٣- الساعاتُ المريرة ١٠٢
مفتاحُ الذِّكْر : حَمْدٌ وصلاة ١٠٦
التعريةُ الفاضحةُ وشؤونُ الحقِّ والحكم ١٠٧

الدرس السادس :

هَتْكُ الطليقِ حجابَ الصَّون ١١٧
يزيدُ بينَ التربيةِ والوراثة ١١٩
الأفعالُ المنكَرَةُ دليلُ الحقدِ الدفين ١٢٢
دعوةُ المظلومِ الواثق ١٢٤
جنايةُ الحاكمِ الأحمقِ على نفسِهِ ١٢٥
محكمةُ العدلِ الإلهية ١٢٥

الدرس السابع :

الله حاكمٌ ومحمدٌ خصيمٌ وجبرئيلُ ظهير ١٣١
إنَّ الحسينَ أُصيبَ في يومِ السقيفة ١٣٣
رِفْعَةُ الحقِّ وضِعَةُ الباطل ١٣٧
ولكنهُ المأتَمُ الحيُّ والحُزْنُ السَّرْمَد ١٣٨
المَغْرَمُ في المَغْنَم ١٣٩
تحدي الحقِّ بنورِ اللهِ الذي لا يُطْفَأ ١٤١
العارُ والنار ١٤٣
غايةُ الرِّضَا وحُسْنُ الاحتسابِ وجميلُ التسليم ١٤٥
فبُهِتَ الذي كَفَر ١٤٦
بينَ الصديقتينِ الكبرى والصغرى في خُطَبِهِما ١٤٧
أسئلة للاختبار ١٥٣
المصادر ١٥٨
الفهرس ١٦١